البحرين ..
بركان على جزيرة

الغزو الشيعي
يتسرب عبر ثورات العرب.. تونس نموذجا

فيروس
الممانعة الإيراني



www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد ١١٠ شعبان ١٤٣٣هـ

التشيع والغزو من الداخل

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

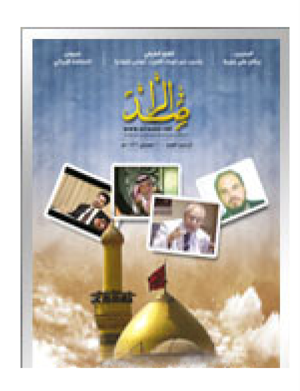
دراسـات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١١٠)
شعبان - ١٤٣٣ هـ

www.alrased.net
info@arased.net





التشيع والغزو من الداخل

أصبح من اللافت للنظر تكرر ظهور أصوات شاذة تنتسب لأهل السنة، تقوم ببث الشبهات الشيعية في أوساط السنة، من أمثال: د.عدنان إبراهيم الذي يتفنن في الدفاع عن رموز الشيعة وعلمائهم كالطبرسي، وياسر الحبيب، وإلقاء الشبهات على الصحابة كأبي هريرة ومعاوية رضي الله عنهما، ود. محمد سليم العوا الذي لا يفتأ في الدفاع عن الشيعة والخميني في كل مكان وبكل وسيلة، ود.أحمد الكبيسي الذي هاجم معاوية بدون مقدمات ولا مناسبة ورمى أهل الأنبار[1] بالنصب، ود.محمد حوى الذي يتبنى مشروعاً جاداً لهدم الصحيحين تحت غطاء نقد المتن بناء على أهوائه الشخصية وعقله المريض، وتبنيه لبعض انحرافات الشيعة معتبرا أن هذه انحرافات مشتركة بين السُنة والشيعة.

ويلاحظ على هؤلاء وأمثالهم أنهم يجتهدون في نشر باطلهم في أوساط عامة المسلمين والبسطاء، ومن خلال منابر الجمعة، والفضائيات، وقاعات الدراسة في الجامعات وغيرها، وعبر المقالات في الصحف ومواقع الإنترنت، مع المهاجمة الدائمة لعلماء الأمة السابقين والمعاصرين، واتهامهم بالجهل والغباء والتعصب لتمرير أفكارهم المنحرفة بوصفها تجديداً وإصلاحاً وتنويراً، وكأن هناك إستراتيجية جديدة للشيعة لنشر باطلهم وانحرافهم بعد فشلهم الكبير وإخفاقهم الذريع في المناظرات العلنية مع علماء ودعاة أهل السُنة في المنتديات الإلكترونية وعبر شاشات الفضائيات، بحيث تقوم هذه الإستراتيجية الجديدة على استغلال الحمقى والموتورين من السنة، من أصحاب حب الذات والقابلية للبروز ولو بمخالفة أصول الدين، لتولي مهمة ترويج شبهات الشيعة ولكن بلسان سُني وعبر شخصيات غير شيعية، ولذلك تجد أن الشيعة يعملون على تلميع هؤلاء والاستشهاد بهم ضد السُنة.

وفي هذا تقليد لمسعى الاستعمار والاستشراق، حين احتضن أمثال ميرزا أحمد غلام مؤسس القاديانية لضرب الجهاد الإسلامي الهندي ضد الاحتلال البريطاني عبر تحريم الجهاد!! وحين احتضن الروس ومن بعدهم الإنجليز البهاء - إله البهائية- لتحريف الإسلام، ونزع مقاومته للمعتدين بالمناداة بالسلام العالمي، وبعد ذلك تبنتهم إسرائيل بسبب دعمهم لوجودها وإضفائهم المشروعية على بقائها.

وكما تم احتضان د. طه حسين من قبل المستشرق اليهودي مرجليوث لضرب القرآن الكريم من خلال نفي وجود «الشعر الجاهلي»، وكما تم احتضان الشيخ محمود أبو ريَّة ليردد كل شبهات عبد الحسين شرف الدين الموسوي الشيعي

---

(١) محافظة عراقية سنية ينتمي لها الدكتور أحمد الكبيسي.

في كتابه «أضواء على السنة النبوية».

وكما تم احتضان الشيخ علي عبد الرازق مؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لنفي الدور السياسي في الإسلام، حيث يعتقد عدد من الباحثين أن المستشرق اليهودي مرجليوث هو الكاتب الحقيقي للكتاب.

فهذا المنهج منهج قديم يلجأ إليه أعداء الإسلام في كل وقت وحين، حين يستعملون أناساً من جلدة الإسلام لضرب الإسلام، وأناساً من أهل السنة لضرب السنة وأهلها، فلا غرابة أن نجد الشيعة اليوم يلجأون إلى ذات الأسلوب، في محاولة لتمرير باطلهم وانحرافهم.

إن مما يجب أن يُدرك أن هذه المرحلة التي تشهد صعوداً للدعوة والعمل الإسلامي ستكون مليئة بالنفاق والمنافقين، إذْ أنّ النفاق لم يظهر نجمه إلا حين ظهرت قوة المسلمين بالمدينة النبوية.

ولذلك ينبغي الحذر والحيطة في هذه المرحلة، من تكاثر الدعوات المشبوهة باسم الإسلام لتمرير كثير من المفاهيم الشيعية والعلمانية والتغريبية والحداثية.

والواجب على أهل العلم والدعاة والهيئات المتخصصة أن تُكثف جهودها في «حراسة الحدود» بتعبير العلامة أبي إسحاق الحويني حفظه الله، والتركيز على الوقاية المبكرة والاستباقية واستشراف الفتن قبل وقوعها أو توسعها في الأمة، ورصد أي محاولة تسلل ليتم تمريرها فوراً لمن يستطيعون التعامل معها بحكمة وفهم ودراية، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ٨٣].

وإذا كان من أخطاء المرحلة الماضية تقصير أهل الحق في فضح المندسين والتراخي والتهاون في ردعهم، حتى تغولوا وأصبح من الصعب اقتلاعهم كما حدث في: فتنة علوي المالكي، وحسن السقاف، وجماعة الأحباش وغيرهم...

فإن هذا الأمر يجب أن يتوقف وأن نأخذ الأمر على محمل الجدِّ؛ فمعالجة الأمور في بداياتها أسهل من معالجتها في النهايات، ولنتذكر دوماً نكبة دولة المرابطين بابن تومرت الذي تظاهر بالإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يفعل اليوم د.عدنان إبراهيم، د. ومحمد د.حوى ود.محمد سليم العوا، فنصح المخلصون ابن تاشفين زعيم المرابطين بأن يسجنه ومن معه، خوفاً من إثارة الفتن لأنه يخطط لأمر ما، وأنه يريد الرئاسة، وكان مما قيل للسلطان ابن تاشفين يومها أن يسجن هؤلاء النفر، وينفق عليهم كلَّ يوم ديناراً وإلاّ سوف ينفق عليهم جميع بيت المال، لكن بعض السذج أو المنتفعين شفع في ابن تومرت، وهوّن أمره، فاكتفى السلطان علي بن يوسف بن تاشفين بإخراج ابن تومرت من مراكش ولم يسجنه.

فكانت العاقبة أن كفّر ابن تومرت دولةَ المرابطين وحشد لقتالها أتباعه، حتى هدمها وأقام دولته الباطنية، فمتى نعتبر بدروس التاريخ ونتعظ؟!

إن محاولة الشيعة والعلمانية اختراق الإسلام من داخله ومن خلال ألسن سنية محاولات لن تتوقف، ولن تعدم أن تجد في أمتنا جهلاء أو ضِعاف نفوس تقبل أن تسير في هذا الركب والمضمار.

لتكن أيامنا أيام عمل ويقظة لا أيام راحة واستجمام ودعة؛ راكنين إلى أنّ إيران والشيعة قد فضحوا بطائفيتهم وانتهازيتهم في ثورة سوريا واضطرابات البحرين، ومن قبل في العراق بعد الاحتلال الأمريكي، فهذا كلام شأن من لا يعرف الفتن والأهواء، وكذلك هو شأن الأغبياء وأهل الكسل والخمول، ولقد صدق الشاعر حين قال:

كل العداوات ترجى مودتها

إلا عداوة من عاداك في الدين

٤- العلامة عبد الحميد بن باديس (٢)
(١٣٠٨-١٣٩٥هـ/ ١٨٨٩-١٩٤٠م)

أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

إرهاصات تأسيس جمعية العلماء المسلمين:

هناك الكثير من المقدمات التي سبقت ظهور جمعية العلماء المسلمين في سنة ١٩٣١، فبعد مسيرة ابن باديس الطويلة في الجهاد الفردي بالتعليم والدعوة والإعلام تكوّن في الجزائر تيار من العلماء الإصلاحيين وطلبتهم بقيادة ابن باديس، وكانت لهم لقاءات دورية لتدارس أحوال الجزائر وكيفية النهوض به، للوصول للغاية النهائية وهي الاستقلال عن فرنسا وإعادة الجزائر دولة مسلمة قوية ومتقدمة، ولقد صرح ابن باديس لمن استفسروا منه عن موقفه من المطالبة باستقلال الجزائر قائلاً: «وهل يمكن من شرع في تشييد منزل أن يتركه من دون سقف؟ وما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال»، وذلك في سنة ١٩٣٣.

ومن هذه الإرهاصات محاولة ابن باديس التي لم تنجح سنة ١٩٢٤ لإنشاء جمعية (الإخاء العلمي) يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة وتجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم، وتقرب بين آرائهم في التعليم والتفكير، وتوثق الأواصر بينهم.

وقد طلب ابن باديس من الشيخ البشير الإبراهيمي كتابة قانونها الأساسي، لكن لم يكتب لهذه المحاولة النجاح، وكانت الخلاصة التي خرج بها ابن باديس والإبراهيمي أن استعدادنا لمثل هذه الأعمال لم ينضج بعد، ولكن التجربة لم تذهب بلا فائدة.

فعاود ابن باديس التركيز على النشاط في الصحافة والمجلات لتكوين رأي عام وداعم لهذه المحاولات في المرات القادمة، حيث دعا ابن باديس في مقالاته إلى اتحاد العلماء وتجمعهم، والاتفاق على خطة عمل لإصلاح الأوضاع الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، في تمهيد لفكرة جمعية العلماء، فكتب في مجلته الشهاب: «أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري إن التعارف أساس التآلف والاتحاد شرط النجاح فهلموا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض»، (الشهاب، عدد ٣، ١٩٢٥/١١/٢٦).

وقام بعض أصدقاء ابن باديس في العاصمة سنة ١٩٢٧ بإنشاء «نادي الترقي» بهدف «مساعدة الأعمال التمدينية التي تقوم بها فرنسا وذلك بالسعي في تثقيف مسلمي الجزائر عملياً، واقتصادياً، واجتماعياً»، وقد حاضر ابن باديس في حفل تأسيسه، ومن ثم طلب أعضاء النادي من الشيخ الطيب العقبي رفيق ابن باديس أن يكون محاضراً في النادي لسكنه في العاصمة. وسيكون النادي فيما بعد مقر الاجتماع لتأسيس جمعية العلماء.

وفي خطوة تالية سنة ١٩٢٧ دعا ابن باديس

(*) كاتب أردني.

الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة في مكتبه يدرسون فيها أوضاع الجزائر، وما يمكن عمله، فلبى الدعوة البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، والعربي بن بلقاسم التبسي، ومحمد السعيد الواهري، ومحمد خير الدين، وكانت نتيجة هذا الاجتماع الاتفاق على خطة عمل لنشر الدعوة الإصلاحية واستخدام الصحافة والنوادي وإنشاء فرق الكشافة الإسلامية، واتفقوا على تحديد محاور الفكر الإصلاحي الذي يجب أن يكون في الجزائر، وهو مما يعتبر خطوة تمهيدية لجمعية العلماء مستقبلاً، وفعلا كانت تلك هي محاور البرنامج الذي اتبعته الجمعية بعد ميلادها.

شرارة التأسيس:

في سنة ١٩٣٠ قررت فرنسا إقامة احتفالات ضخمة بمناسبة مرور ١٠٠ عام على احتلالها للجزائر، وكان مقررا لها أن تستمر مدة ٦ شهور، وانفقوا فيها ١٣٠ مليون فرنك فرنسي، وقد وضح أحد قادتهم القصد من هذه الاحتفالات بقوله: «إن احتفالنا اليوم ليس احتفالاً بمرور مائة سنة على احتلالنا الجزائر، ولكنه احتفال بتشييع جنازة الإسلام»!!

لكن ابن باديس ورفاقه تصدوا لهذه الاحتفالات، يقول البشير الإبراهيمي: «استطعنا بدعايتنا السرية، أن نفسد عليها كثيراً من برامجها، فلم تدم هذه الاحتفالات إلا شهرين، واستطعنا بدعايتنا العلنية أن نجمع الشعب الجزائري حولنا، ونلفت أنظاره إلينا».

وكان الرد العملي على هذه الاحتفالات دعوة مجلة الشهاب (عدد ١٩٣١/٢) لتأسيس جمعية العلماء، وفعلا تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين في ١٩٣١/٥/٥.

قصة ميلاد الجمعية:

تأسست جمعية العلماء المسلمين في اجتماع عقد في نادي الترقي بالعاصمة الجزائرية، حضره ٧٠ عالماً من مختلف مناطق الجزائر، ومن شتى الاتجاهات الدينية والمذهبية: مالكيين وإباضيين، مصلحين وطرقيين، موظفين حكوميين وغير موظفين، وكان رئيس الاجتماع الشيخ أبو يعلى الزواوي.

ويحكى الشيخ خير الدين أحد المؤسسين الذين حضروا الجلسات العامة والخاصة لتأسيس الجمعية قصتها فيقول: «كنت أنا والشيخ مبارك الميلي في مكتب ابن باديس بقسنطينة يوم دعا الشيخ أحد المصلحين (محمد عبابسة الأخضري) وطلب إليه أن يقوم بالدعوة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العاصمة وكلفه أن يختار ثلة من جماعة نادي الترقي الذين لا يثير ذكر أسمائهم شكوك الحكومة، أو مخاوف أصحاب الزوايا، وتتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية في نادي الترقي بالعاصمة حتى يتم الاجتماع في هدوء وسلام، وتتحقق الغاية المرجوة من نجاح التأسيس».

وقد تخلف ابن باديس عن الحضور في أول يومين للاجتماع حتى لا يستثير وجوده العلماء الرسميين أو الطرقيين، وفضل أن يستدعى في اليوم التالي على أن يكون داعياً للاجتماع، وفي هذا بعد نظر منه.

وكان هناك مسودة لقانون الجمعية عرض في الاجتماع وتم إقراره، ومن ثم تم اختيار أعضاء مجلس الإدارة، حيث وقع الاختيار على ابن باديس ليرأسها رغم عدم حضوره.

وهكذا ظهرت جمعية العلماء بحنكة ابن باديس وذكائه، حين تجنب الاصطدام بإدارة الاحتلال وبالعلماء الموالين لها وبأصحاب الزوايا، وأيضاً نص قانونها على تجنب العمل السياسي، حتى يطمئن السلطات الفرنسية أكثر، لكن الحقيقة كانت كما جاء في تقرير المتصرف الفرنسي لمدينة مزاله: «وعلى الرغم من أنها (الجمعية) تدعي أنها لا سياسية فإنها نواة للأحزاب الوطنية وقاعدة ينمو فوقها الشعور الوطني».

ومنهج ابن باديس هذا لم يكن عن خوف أو جبن عن خوض العمل السياسي، بل هو منهج

ارتضاه عن دراسة وتأمل، يقول ابن باديس: «فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها، عن علم وبصيرة، وتمسكاً بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا، من النصح والإرشاد، وبث الخير والثبات على وجه واحد، والسير في خط مستقيم».

وفي نهاية سنتها الأولى حاول العلماء الموالون لفرنسا وأرباب الطرق والزوايا الاستيلاء على الجمعية وحرفها عن مسارها، لكنهم فشلوا في ذلك فانشقوا عن الجمعية وأسسوا (جمعية علماء السنة) برئاسة الشيخ مولود الحافظي الذي كان من المؤسسين لجمعية العلماء، لكن هذه الجمعية سرعان ما فشلت واندثرت.

ثم في سنة ١٩٣٦ تجددت صلة بعض زعمائها بزعيم كتلة نواب قسنطينة د.ابن جلول، فأصبح لهم مؤسستان في الجزائر العاصمة وفي قسنطينة، وأنشأوا نادى الصفا الذي غير اسمه إلى نادى الرشاد، وأصبح مقرا لحبك المكائد لجمعية العلماء.

ولذلك يعتبر العام الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو ميلادها الحقيقي، حيث أصبحت الجمعية مقتصرة فقط على التيار الإصلاحي.

وتم تقسيم الإشراف على متابعة نشاطات الجمعية بين الشيخ الطيب العقبي الذي تولى الإشراف على نشاط الجمعية في العاصمة وما جاورها، والشيخ البشير الإبراهيمي الذي تولى الإشراف على نشاطات الجهة الغربية من البلاد، انطلاقا من تلمسان، وبقيت قسنطينة وما جاورها تحت إشراف ابن باديس.

الجمعية وإنشاء المدارس والتعليم:

وعندما استقرت أمور الجمعية وانطلقت في نشاطاتها تكاثرت فروعها حتى بلغت بعد ٥ سنوات ٣٣ شعبة وذلك في سنة ١٩٣٦، وفي سنة ١٩٣٨ زاد العدد إلى ٥٨ شعبة، فقد أقبل الشعب الجزائري على التعلم وحضور الندوات والمحاضرات في شعب الجمعية وذلك برغم الاضطهادات والعراقيل التي كانت توضع في طريقها.

وقد عدد البشير الإبراهيمي أهمّ أنشطة الجمعية وأعمالها في ثماني نقاط هي:

١- تنظيم حملة جارفة على البدع والخرافات والضلال في الدين، بواسطة الخطب والمحاضرات، ودروس الوعظ والإرشاد، في المساجد، والأندية، والأماكن العامة والخاصة، حتى في الأسواق، والمقالات في جرائدنا الخاصة التي أنشأناها لخدمة الفكرة الإصلاحية.

٢- الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار، فيما تصل إليه أيدينا من الأماكن، وفي بيوت الآباء، ربحاً للوقت قبل بناء المدارس.

٣- تجنيد المئات من تلامذتنا المتخرجين، ودعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب.

٤- العمل على تعميم التعليم العربي للشبان، على النمط الذي بدأ به ابن باديس.

٥- مطالبة الحكومة برفع يدها عن مساجدنا ومعاهدنا التي استولت عليها، لنستخدمها في تعليم الأمة دينها، وتعليم أبنائها لغتهم.

٦- مطالبة الحكومة بتسليم أوقاف الإسلام التي احتجزتها ووزعتها، لتصرف في مصارفها التي وُقِفَت عليها. (وكانت من الكثرة بحيث تساوي ميزانية دولة متوسطة).

٧- مطالبة الحكومة باستقلال القضاء الإسلامي، في الأحوال الشخصية مبدئيًا.

٨- مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين الموظفين الدينيين.

ومن أجل ذلك قامت الجمعية بإنشاء المدارس التابعة لها فبعد ثلاث سنوات، كان يتبع الجمعية ١٥٠ مدرسة، يتعلم فيها تقريباً ٥٠ ألف طالب.

وكان ابن باديس ينتقد طريقة التعليم السائدة في عصره، والتي ترتكز على بعض المواد الشرعية فقط، والتي تدرس بطريقة كئيبة لا تخرج سوى طلبة كالببغاوات يرددون ما حفظوا دون فهم أو قدرة على الاجتهاد، يقول ابن باديس عن الغاية من

تدريسه القرآن للطلاب: «وأن يكوّن القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تُعلق هذه الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودهم».

فأدخل تعليم المواد العصرية إلى دروسه ودروس مدارسه، فمن المواد التي أصبحت تدرس: الحساب والجغرافيا والتاريخ والمنطق واللغة الفرنسية، ومن الكتب التي يطالعها الطلبة: مقدمة ابن خلدون، وطوّر ابن باديس طريقة التعليم بحيث تنمي ملكات الطلبة وتؤهلهم للفهم والاجتهاد، ولذلك ظهر في طلابه الأدباء والشعراء والفقهاء والمصلحون، ويقول الشيّخ الإبراهيمي: «كانت الطريقة التي اتفقنا عليها سنة ١٩١٣ في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة».

وكان ابن باديس يهتم بتغيير عقلية التخلف عند الناس، ففي رثائه لصاحب المنار رشيد رضا كتب يقول: «إذا كان التفكير لازماً للإنسان في جميع شؤونه، وكل ما يتصل به إدراكه، فهو لطالب العلم ألزم من كل إنسان...» وأيضاً: «فالتفكير التفكير يا طلبة العلم، فإن القراءة بلا تفكير لا توصل إلى شيء من العلم، وإنما تربط صاحبها في صخرة الجمود والتقليد وخير منها الجاهل البسيط».

وكان يرسل المتفوقين للدراسة في جامع الزيتونة بتونس، ويجعل عليهم مشرفين وعرفاء. وبقيت عناية الجمعية بالتعليم تتزايد حتى عقدت سنة ١٩٣٧ مؤتمراً لمعلمي التعليم العربي، لدراسة واقعه ومشكلاته والنهوض به، وأصدرت أبحاثه في كتاب خاص.

واعتنت الجمعية بتعليم الفتيات بل أعفتهن جميعاً من الرسوم بخلاف الأولاد الذين أعفت الفقراء منهم فقط، كما أن ابن باديس سعى في أن يبعث بعض الفتيات لمواصلة التعليم في دمشق لدى جمعية دوحة الآداب بمرافقة مشرفة، إلا أن ظروف الحرب العالمية حالت دون ذلك.

الجمعية وإنشاء الصحف:

تعاونت الجمعية في البداية مع عدد من الصحف الإصلاحية في بث دعوتها، كمجلة الشهاب التي يرأسها ابن باديس وصحف أخرى كالمرصاد والجحيم والليالي والدفاع الفرنسية.

لكن الجمعية أصدرت سنة ١٩٣٣ أول صحفها وهي صحيفة السنة النبوية لتصدر أسبوعياً، برئاسة ابن باديس، لتكون الناطقة بلسانها وتخوض الصراع مع الطرقية وجمعيتها علماء السنة، لكن سرعان ما أوقفتها السلطات الفرنسية بعد عدة أشهر فقط.

وبعد أسبوع فقط من إيقاف السنة النبوية، أصدرت الجمعية صحيفة الشريعة المحمدية، بنفس الإدارة التي تولت السنة النبوية، وأيضاً تم إيقافها بعد شهر ونصف.

وعلى إثرها أصدرت الجمعية جريدة الصراط السوي لكنها عطلت بعدة عدة أشهر مرة أخرى مطلع سنة ١٩٣٤.

وبعد سنتين لم تلِن فيها إرادة الجمعية صدرت مجلة البصائر الأسبوعية لتكون لسان الجمعية والتي استمرت لغاية سنة ١٩٣٩ حيث قررت الجمعية إيقافها لأن «التعطيل خير من نشر الأباطيل» كما قال البشير الإبراهيمي، حيث رفضت الجمعية تأييد فرنسا في الحرب.

وكانت صحف الجمعية كصحف ابن باديس تعالج مختلف القضايا الدينية والسياسية الجزائرية والإسلامية، وتهتم بنشر العقيدة السليمة ومحاربة البدعة والخرافة، وإصلاح التعليم في الجزائر وتونس وكل مكان، كما كان لقضية فلسطين حضور بارز على صفحاتها.

الجمعية ومقاومة الطرقية والصوفية المنحرفة:

كان ابن باديس يدرك أن الجزائر تواجه استعماراً مادياً فرنسياً، واستعماراً معنوياً طرقياً صوفياً، وأنهما متحالفان معاً ضد الشعب

الجزائري.

ورأى ابن باديس أن البدء بمحاربة الطرقية والصوفية المنحرفة هو المدخل السليم لمحاربة الاستعمار الفرنسي.

وهذا المنهج من ابن باديس سابق على إنشاء الجمعية لكنه مع إنشاء الجمعية أصبح منهجاً جماعياً تقوم به جمعية تضم عدداً من العلماء ومئات المدرسين من خلال مدارس الجمعية، ولم يعد أمراً فردياً يقوم به ابن باديس.

وبسبب تصدي ابن باديس للطرقية وخاصة الطريقة العليوية التي جمعت بين الانحراف الديني والولاء للفرنسيين، ففي سنة ١٩٢٠ نشر الشيخ أحمد بن عليوة رئيس زاوية مستغانم ديوانه الشعري، والذي فيه توعد وتهديد للنبي ﷺ إن هلك ابن عليوة بسبب شوقه للنبي!! قال ابن عليوة:

إنْ مُتّ بالشّوْق منكد   من هو بالملك موحّد

إن تبق في هجري زائد   عبس بالقول تساعد

ما عذر ينجيك للمولى ندعيك ينظر في أمريك ما نرجوه فيك !!

وضمنه عقيدة وحدة الوجود والحلول، كقوله:

فتشت عليك يا الله   لقيت روحي أنا الله

(والعياذ بالله)

كما أن الطريقة العليوية بسبب هذا الانحراف والولاء للمحتل الفرنسي كانت تفتح له الأبواب وتمهد لهم السبل، في الوقت الذي كان الشرفاء من الصوفية يعانون الأذى من الفرنسيين ومثلهم العلماء المصلحون.

وحين سئل ابن باديس في سنة ١٩٢٢ عن ديوان ابن عليوة أجاب برسالة سميت «جواب سؤال على سوء مقال» رد فيها عليه لسوء أدبه مع النبي ﷺ وعلى بعض شطحاته الحلولية المنافية للعقيدة الإسلامية، ولأهمية هذه الرسالة قرضها عدد من كبار علماء المغرب وتونس والجزائر، مثل الطاهر بن عاشور والخضر حسين ومحمد النيفر وأشادت بها مجلة الفتح لمحب الدين الخطيب.

وحقد ابن عليوة وأتباعه على ابن باديس وأرسلوا له من يقتله في عام ١٩٢٦، وفعلا تربص به القاتل في مساء ٩ جمادى الآخرة ١٣٤١هـ الموافق ليوم ١٢/١٤/ ١٩٢٦ م وضربه بهراوة على رأسه وصدعه، فشج رأسه وأدماه، لكن ابن باديس أمسك به وصرخ طلباً للمساعدة، ونجى من القتل، ثم عفا عن القاتل لأنه مستأجر.

واستمر ابن باديس في حربه للطرقية والصوفية المنحرفة، فلما تأسست الجمعية نصت في منهجها على محاربة الطرقية، فجاء في الأصل السادس عشر «الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ ...».

وقد اتبع ابن باديس مع الطرقية أسلوب المهادنة والتعاون في بداية تأسيس الجمعية، وذلك لقطع الطريق على الاستعمار الفرنسي من استغلال صراع الإصلاحيين مع الطرقيين، ولكن بشرط أن لا يكونوا عوناً للمستعمر.

ولكنهم حين أخلوا بالشرط وتعاونوا مع الفرنسيين أظهر العلماء للشعب الحقيقة وأن شيوخ الطرق تبع للفرنسيين وباحثون عن مصالحهم الشخصية من المال والمناصب، فنبذهم الشعب الجزائري، وتقلص نفوذ الطرقية في الجزائر، ولم يعد لها تأثير على الشارع الجزائري.

وهو الأمر الذي ساهم في تحرير الجزائر، حين اعترف أحد قادتهم سنة ١٩٥٥ أنهم لم يجدوا شيوخ طرق وصوفية يوقفون ثورة الجزائر ضد فرنسا بسبب أعمال جمعية العلماء، في حين وجد الاستعمار الفرنسي شيوخا صوفيين في المغرب ليتمكن من إيقاف الثورة ضد فرنسا!!

لكن اليوم تعود الصوفية للشارع الجزائري بقوة وبدعم من النظام وذلك لإضعاف التيار الإسلامي في الجزائر، فبدلا من علاج التطرف بالعلم يتم اللجوء للخرافة من قبل أنظمة علمانية واشتراكية!!

الجمعية تفتح فرعا لها في فرنسا:

حين زار وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري فرنسا سنة ١٩٣٦ وكان فيه ابن باديس والإبراهيمي والعقبي، طلب المهاجرون الجزائريون من ابن باديس

ورفاقه أن يهتموا بهم ويرسلوا لهم من طلابهم، من يعلمهم ويرشدهم.

وبعد عودة ابن باديس للجزائر أرسل لهم تلميذه الفضيل الورتلاني – والذي سيكون له دور بارز لاحقاً مع حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان في نشر الدعوة الإسلامية – وقد أسس الورتلاني جمعية نادي التهذيب في باريس، التي كانت تعد بمثابة فرع لجمعية العلماء بالجزائر، لأن التوجيه والمناهج والقائمين على النادي كله من جمعية العلماء بالجزائر، وسرعان ما أصبح لها ستة فروع في ضواحي باريس، وثم أصبحت ١١ فرعاً حين أغلقت بسبب احتلال الألمان لفرنسا سنة ١٩٤٠.

وقد تطلبت هذ الفروع مجيء عدد آخر من طلاب جمعية العلماء بالجزائر، والذين أشرفوا على نشر التعليم والدعوة بين جموع المهاجرين الجزائريين وغيرهم، وكانت هذه التجربة من أوائل المؤسسات الدعوية الإسلامية في أوروبا إن لم تكن الأولى.

الجمعية وفرنسا:

حرص ابن باديس على تأجيل اصطدامه بفرنسا حتى يتمكن من بناء قاعدة صلبة يستطيع الاعتماد عليها، ولذلك تنوعت سياسته مع فرنسا بحسب ظروف كل مرحلة.

ففي البداية كان يطالب فرنسا بأن تعدل مع الجزائريين بناء على شعاراتها وقيمها التي تنادي بها، ومع تأكيده على أن العلاقة بينهما هي علاقة بين أمتين وليست بين أمة واحدة، وكان ينادي بالمساواة في الحقوق السياسية لا القومية مع الفرنسيين.

وهو يحاول بهذه الطريقة أن يصل لحقِّ الشعب الجزائري بالتعليم والمشاركة السياسية والتنعم بخيرات بلاده، واستمرت هذه السياسة لبعد قيام الجمعية بعدة سنوات.

ورغم ذلك لم تكن فرنسا راضية عن نشاطات ابن باديس وحاولت أن تصرفه عن مشروعه عبر الإغراء ببعض المناصب مثل منصب المفتي أو تسميته بشيخ الإسلام، ولما لم يستجب لذلك قامت بالتضييق على عائلته في أعمالها وتجارتها، فلم يرضخ أيضاً.

وقد حرص ابن باديس على أن يميز بين نشاطه الخاص ضد فرنسا وبين نشاط الجمعية، فكان يخوض بعض الصدامات مع فرنسا باسمه الشخصي من خلال مجلته الخاصة الشهاب، في الوقت الذي لا تتدخل الجمعية ومجلاتها في تلك الصدامات، وذلك للحفاظ على الجمعية وعدم تعريضها للخطر وهذا من حنكته ودهائه.

ومع ذلك شهدت الجمعية الكثير من مظاهر التضييق على عملها كإيقاف ترخيص المدارس، ومراقبة ومتابعة أعضائها، والتعطيل المتكرر لمجلاتها، ومنع علمائها من دخول مناطق جزائرية، خاصة الصحراء، وقبول فرنسا توصية جمعية علماء السنة الطرقية بمنع غير الموظفين الرسميين من التدريس في المساجد، ولكن هذا فتح باب إنشاء المساجد الحرة غير التابعة للسلطات وكان فيها خير عظيم.

كما صدر قرار باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر سنة ١٩٣٣ ما عرض أنشطة وعلماء الجمعية لمتاعب كبيرة جدا من قبل السلطات الفرنسية.

ومنذ سنة ١٩٣٦ تغيرت سياسة ابن باديس وذلك عقب محاولة فرنسا إلغاء الهوية الجزائرية تماماً وإلحاقها بفرنسا بالكلية واعتبار الجزائر مقاطعة من فرنسا، فأعلن ابن باديس رفضه لهذا المسعى وأنه يرفض التجنس بالجنسية الفرنسية وأنه يتبرأ من بعض قادة الجزائر الذين قبلوا ذلك.

ودعا ابن باديس إلى عقد مؤتمر عام لدراسة الأوضاع، فعقد في ١٩٣٦/٧/٧ المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول في نادي الترقي، وكان هذا المؤتمر نقطة تحول في تاريخ الجزائر، وتقرر إرسال وفد جزائري إلى فرنسا لشرح وجهة النظر الجزائرية، وكان في الوفد ابن باديس والإبراهيمي بشكل شخصي، واستطاع الوفد بثقل العلماء الحاضرين

أن يجبروا النواب الجزائريين على الالتزام بمقررات المؤتمر التي تحافظ على هوية الجزائر الإسلامية ولغتها العربية.

وأصبح نشاط العلماء ضد سياسة الفرنسة ظاهرا ومكشوفا، وأنهم لن يتنازلوا عن حقوقهم في المواطنة والديمقراطية التي تدعيها فرنسا، وهو تحول مهم في سياسة ابن باديس تجاه فرنسا، وما كان يمكن القيام به لولا تلك الجهود الطويلة والتي أفرزت قوة على الأرض لا يستهان بها.

ولذلك لجأت الإدارة الفرنسية لضرب جهود ابن باديس والجمعية بعد عودتهم من فرنسا، باتهامهم بقتل مفتي العاصمة ابن مكحول واعتقال الشيخ الطيب العقبي باعتباره المتهم بذلك، ولم تحاكم الرجل أو تقبض عليه، وتركت الاتهام معلقًا، وذلك حتى تُشَوِّهَ سمعة الرجل وجمعيته، وهو ما دفع به إلى الاستقالة عام ١٩٣٨، وتم إغلاق نادى الترقي لمنع تجمع المصلحين فيه، وحرضت الطرق الصوفية على مهاجمة ابن باديس، حتى إنها أطلقت عليه لقب «ابن إبليس»!

ولذلك توجه ابن باديس والجمعية لمقاطعة السلطات الفرنسية والمجالس التابعة لها، والاتصال بالحركات الوطنية الإسلامية في تونس والمغرب.

ومن ثم صدر أمر بمنع تقديم المشروبات في النوادي مجاناً أو بالبيع إلا بإذن خاص من الوالي الفرنسي، بهدف القضاء على تجمعات الإصلاحيين من خلال إفلاس النوادي والمقاهي التي تجمعهم، وتبعه قرار منع فتح المدارس والتضييق على القائم منها وإغلاقه.

ثم جاءت سنة ١٩٣٨ ونذر الحرب العالمية الثانية وأرادت فرنسا أن تكسب ولاء الجزائريين لها تمهيدًا لإشراكهم في صفوف القتال الفرنسية، فتوجهت للشيخ العقبي والذي يحاكم بتهمة قتل المفتي وطلبت منه أن تعلن الجمعية تأييدها لفرنسا، وأن براءته رهن بذلك.

وقصدت فرنسا تحقيق عدة غايات من ذلك، إذا صدر التأييد فهذا مكسب كبير لها، وإذا رفض فإن خلافا قد يقع بين العقبي والجمعية أو بين بعض أفرادها أو سيختلف قادة الجمعية بين مؤيد ومعارض، وكل ذلك مفيد لفرنسا!!

وقد كانت محاكمة العقبي قضية هامة ومفصلية لكونها محاكمة للجمعية في شخص العقبي، لما له من مكانة حتى أن ابن باديس الذي لم يقطع درسه حين توفي ولده الوحيد وعمره ١٧ سنة، قطع درسه لحضور محاكمة العقبي.

فرفض ابن باديس والجمعية ذلك – وهو ما أزعج العقبي الذي تلاعبت به فرنسا عبر بعض المغرضين، ولم تنتبه الجمعية لضرورة مساندته في ذلك، فاستقال من الجمعية – وحتى لا تضطر الجمعية لإعلان موقف لا تريده قررت إيقاف صحفها، وكذلك فعل ابن باديس.

وبدأ ابن باديس يفكر بالثورة على فرنسا إذا أعلنت إيطاليا الحرب عليها، وذلك بدلا من قبول بعض الجزائريين الانخراط في الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية.

وفي خضم هذا الصراع المتصاعد مع فرنسا والذي أصبح صريحاً ومكشوفاً، لم يتوقف ابن باديس عن التفكير في المستقبل وما بعد الاستعمار الفرنسي، فقدم ابن باديس رؤيته لأسس الدستور المرتقب للجزائر المستقلة بعنوان «أصول الولاية في الإسلام» في مجلته (الشهاب) عدد ١٩٣٨/١، وجعلها ١٣ اصلاً، منها:

الأصل الأول: لا حق لأحد في ولاية أمر من أمور الأمة إلا بتولية الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق والسلطة في الولاية والعزل...

الأصل الثاني: الذي يتولى أمرا من أمور الأمة هو أكفؤها فيه، لا خيرها في سلوكه، فإذا كان شخصان اشتركا في الخيرية والكفاءة وكان أحدهما أرجح في الخيرية، والآخر أرجح في الكفاءة لذلك الأمر قدم الأرجح في الكفاءة على الأرجح في الخيرية...

الأصل الرابع: حق الأمة في مراقبة أولي الأمر، لأنها مصدر سلطتهم وصاحبة النظر في ولايتهم

وعزلهم.

الأصل السابع: حق الأمة في مناقشة أولي الأمر، ومحاسبتهم في أعمالهم وحملهم على ما تراه هي، لا ما يرونه هم، فالكلمة الأخيرة لها لا لهم، وهذا كله من مقتضى تسديدهم وتقويمهم عندما تقتنع بأنهم على باطل ...

الأصل التاسع: لا تحكم الأمة إلا بالقانون الذي رضيته لنفسها وعرفت فيه فائدتها، وما الولاة إلا منفذون لإرادتها، فهي تطيع القانون لأنه قانونها، لا لأن سلطة أخرى لفرد أو لجماعة فرضته عليها كائنا من كان ذلك الفرد، وكائنة من كانت تلك الجماعة ...

الأصل الثاني عشر: حفظ التوازن بين طبقات الأمة، فيؤخذ الحق من القوي دون أن يقسو عليه لقوته فيتعدى عليه حتى يضعف وينكسر، ويعطى الضعيف حقه، دون أن يذل لضعفه، فيطغى عليه، وينقلب معتديا على غيره ...

ومع تعاظم دور الجمعية في الجزائر، ورفض الجمعية وابن باديس الانصياع لرغبات فرنسا في ابتلاع الجزائر، وعدم استسلام ابن باديس والجمعية لليأس والقنوط، أصدرت السلطات الفرنسية قرارا بحل الجمعية في سنة ١٩٤٠، وفرض الإقامة الجبرية على ابن باديس ونفي البشير الإبراهيمي إلى جنوب الجزائر.

أثر ابن باديس على الجزائر

آثار ابن باديس على الجزائر ضخمة جداً، ولعل أبرزها أنه تمكن – بعون الله عز وجل – من تربية جيل جزائري كامل وتكوين أمة تدرك شخصيتها الإسلامية والعربية، وذلك بعد أن حارب الطرقية والخرافة والجهل، وفضح وكشف ألاعيب المحتلين الفرنسيين وأذنابهم.

كما أنه أرسى في الجزائر العمل الدعوي المؤسسي ودعم الإعلام الهادف وسخّره لمصلحة الجزائر.

وفاته رحمه الله تعالى

وفي مساء يوم الثلاثاء ٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ، الموافق ١٦ أبريل ١٩٤٠م، وبعد أشهر معدودة من حلّ الجمعية توفي ابن باديس وهو تحت الإقامة الجبرية، وكان قد بلغ الخمسين من عمره، وكان يعاني رحمه الله من عدة أمراض مستعصية مما جعل هناك ظنونا بأنه لم يمت ميتة طبيعية، وقد شيع جنازته خمسون ألفا من الجزائريين، أو يزيد، جاؤوا من كافة مناطق الجزائر، وقد دفن - رحمه الله- في مقبرة آل باديس بمدينة قسنطينة.

مراجع للتوسع:

❖ جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (١٩١٣- ١٩٤٠)، عبد الرشيد زروقة، دار الشهاب، بيروت، ط ١، ١٩٩٩.

❖ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، مازن مطبقاني، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٨.

❖ ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، د.محمد بهي الدين سالم، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩.

❖ عبد الحميد بن باديس وآراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق (١٨٨٩- ١٩٤٠)، د.عبد الحميد النساج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠.

❖ نشاط جمعية العلماء الجزائريين في فرنسا (١٩٣٦- ١٩٥٦)، سعيد بورنان، دار هومه، الجزائر، ٢٠١١.

❖ مقدمة مجلة الشهاب، عبدالرحمن شيبان، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ١، ٢٠٠٠.

❖ آثار ابن باديس، عمار الطالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط ١، ١٩٦٨.

حقيقة روجيه جارودي

الشيخ عبد الحق التركماني[*] – موقعه الشخصي

لنعيد نشر هذه المقالة بسبب وفاة جارودي في ٢٠١٢/٦/١٦، ومع تأييدنا للمقالة - كتبت في عام ١٩٩٨ - إلا أننا لا نعرف بماذا ختم للرجل، ولعله تاب وحسن إسلامه، لكن لم يصلنا إثبات على ذلك. الراصد]

مقدمة:

أكتب هذه الكلمات وقلبي يكاد يتقطّع وأنا أَلْحظُ أيدي الباطنية، وهي تمكر بأمتنا، وتعمل لعدوان شامل على عقيدتنا ومقدساتنا، وفاءً لابن سبأ، وقرمط، وبني عبيد، والنصير الطوسي، وسيراً على خطاهم في الكيد للإسلام والمسلمين. ثم يزداد ألمي وهمي عندما أجد أن معظم المسلمين ليسوا فقط في حالة جهلٍ بالمشروع الباطني - الذي يُخَطِّطُ له ويُنفِّذُ بدقة وذكاء - بل إن مجاميع من كبار المثقفين والدعاة الإسلاميين، خاصة من كان منهم من أدعياء: «فقه الواقع»؛ هم أول الناس جهلاً به، بل وسقوطاً في شباكه، حتى أنهم صاروا أداةً للدعاية لدعاته، والترويج لأفكاره. فها هو ذا رأس من رؤوسهم؛ يهودي يدّعي الإسلام، يتلقَّى دعماً وتأييداً منقطع النظير من «الإسلاميين»، لا لشيء إلا لأنه اختلف مع أبناء جلدته من اليهود في بعض المسائل الفرعية! وكأن القاعدة عند هؤلاء «الإسلاميين»: أن كل من اختلف مع اليهود في مسألة من المسائل، فلا بدّ أن يكون: «عبد الله المؤمن»!!

ولو أن هذا اليهودي - بعد أن أظهر الإسلام - أخفى وجهه الحاقد القبيح؛ كان يمكن أن نقول: أن أمره انطلى على فقهاء الواقع! وإنهم عاملوه بالظاهر من أمره! فكيف وهو لم يفتأ - منذ أول يوم ادّعى فيه الإسلام، وحتى يوم الناس هذا -: يحارب دِينَ الله، ويُنَاقض القرآن، ويهدم أصول وقطعيات الإسلام جهاراً نهاراً، دون حياءٍ ولا خوفٍ ولا ترددٍ!

فمن هو هذا اليهودي؟ وما هي قصته؟ وما هي الدروس والعبر التي يمكن أن نستخلصها من خلال استعراض فكره ودعوته وتأييد الإسلاميين له؟

هذه أسئلة تطرح نفسها، وقد رأيت أن الإجابة عليها، وبيان الحق فيها، واجب عليّ نصيحة لله ولرسوله ولعلماء المسلمين وعامتهم، وغيرةً على دين الله، وإقامةً للحجة على المغالطين والحالمين. واعتمدت على البحث القيم الذي أصدره الأستاذ عادل التل؛ بعنوان: «فكر جارودي بين المادية والإسلام» (دار البينة، بيروت ط ٢ / ١٩٩٧). مع إضافة قليلة من مصادر أخرى، والله أسأل أن ينفع به عباده المؤمنين.

عقيدة (جارودي) ودعوته:

١- بطاقة تعريف:

ولد (روجيه جان شارل جارودي) في مدينة مارسيليا جنوب فرنسا عام ١٩١٣ من أبوين يهوديين، كما صرحت بذلك الكاتبة حياة الحويك العطية[٢] ـ وهي مقرّبة جدًا من جارودي -، ولكن مصادر «الإسلاميين» تصرُّ على إخفاء هذه الحقيقة، والاكتفاء بالقول: بأنه ولد ونشأ في عائلة علمانية محافظة[٣].

اعتنق النصرانية في مرحلة الشباب، وفي عام ١٩٣٣ انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وبدأ دراسة مؤلفات ماركس وأنجلز ولينين. وفي عام ١٩٥٣ حصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة السوربون على دراسته (النّظرية المادية في المعرفة). اختلف مع الحزب الشيوعي، فاضطر الحزب لفصله ١٩٧٠. ثم بدأ سنة ١٩٧٢ مرحلة حوار الحضارات، وأصدر عدة دراسات في ذلك، وفي سنة ١٩٧٦ أسس المعهد

(*) كاتب عراقي.

(٢) في مقال لها بصحيفة الدستور ١٩٩٦/٧/٦.

(٣) انظر مثلاً موقع مناصرة جارودي على الانترنت من قطر على هذا العنوان:

www.garaudy.net/Arabic/whosa.htm

الـدولي للحـوار بـين الحـضارات، وهـو مـدير هـذا المعهـد. وفي ٢ / ٧ / ٨٢ أعلـن إسـلامه أمـام المؤسـسة الثقافيـة الإسـلامية في جنيـف، وقـد أصـدر مجموعـة من الكتب حول الإسلام، قبل وبعد إسلامه.

شخصية جارودي قبل ادعائه الإسلام:

عُـــرف جـــارودي بالتنـــاقض، وازدواجيـــة الشخـصية، والقلـق والحـيرة، وظهـر ذلـك جليـاً عنـدما وجـد نفـسه الوقـت ذاتـه عـضوا بـارزاً في الحـزب الـشيوعي، ورئيـساً لجمعيـة الـشباب المـسيحيين البروتـسانت. ولقـد دفـع هـذا أبـاه أن يتهمـه بـالجنون والتنـاقض[١] ولهـذا اضـطر الحـزب الـشيوعي إلى اتهامه بالتآمر واللعب على الحبلين[٢] .

هـذا التـآمر واللعـب علـى الحـبلين لازم جـارودي، والتزم هو به حتى بعد إسلامه كما سنرى.

الجمع بين الماركسية والمسيحية والإسلام:

يعلـن جـارودي أن انتسابه للإسـلام لا يعـني التخلـي عـن الماركـسية، أو تـرك النـصرانية، ويقـول بـالحرف الواحـد: «دخلـتُ الإسـلام وبإحـدى يـديّ الإنجيـل، وباليـد الأخـرى كتـاب رأس المـال لمـاركس، ولـست مستعداً للتخلي عن أيّ منهما»[٣].

وصرّح أيضاً بأنه لم يتخل عن الماركسية[٤].

ويـصرّح بأنـه يحـافظ علـى الازدواجيـة، حتـى بعـد إسـلامه، فيقـول: «اخـترت المـسيحية دينـاً، ثـم انتسبت إلى الحــزب الــشيوعي الفرنــسي، وقــادتني حكمــة الحكمــاء وفي مقـدمتهم كيركغـارد إلى العقيـدة الإبراهيميـة... ورغـم حيرتـي وقلقـي فقـد حافظـتُ علـى هـذه الازدواجيـة طيلـة خمـسة وثلاثـين عامـاً، ولـست نادماً على ذلك»[٥].

ويلاحـظ أن جـارودي لم يـذكر هنـا أخـيراً: الإسـلام، بـل ذكـر «العقيـدة الإبراهيميـة» ويعـني بـذلك: وحـدة الأديـان الثلاثـة: اليهوديـة والنـصرانية والإسلام، واعتبارها كلها: العقيدة الإبراهيمية.

ونحن نقول - كما قال ربُنا عز وجل- : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

موقف جارودي من أصول الإسلام:

ولا سـبيل هنـا إلى تفـصيل القـول في بيانـه، ولكـني سـأُلخص هنـا الخطـوط العريـضة لعقيدتـه في النقاط التالية:

١- **مفهـوم الإيمـان:** يـستبعد جـارودي أن يكـون للإيمـان مبـادئ محـددة، أو قواعـد مقـررة، إنمـا هـو مثـل الفرضـية الـسياسية، فيقـول: «ثـم إن الإيمـان حالـه حـال النظريـة الـسياسية، فهـو لـيس إرثـاً مـن المبـادئ والطقـوس المـسبقة، بـل مهمـة لابـد مـن إنجازها. إن إيماني بالإسلام هو انجاز»[٦]

٢- **لا يكفـر بالطـاغوت:** فهـو يقـول بوحـدة الأديـان، ولا يتخلّـى عـن عقائـده الـسابقة، ويقـول: «إن إيمـاني بالإسـلام هـو انجـاز ولـيس انـشقاقاً، في الوقـت الـذي لا أنكـر فيـه المـسيح، ولا مـاركس، ولا قـضية حيـاتي المركزيـة، وأنـا سـعيد الآن، وأنـا في الـسبعين من عمري لأنني بقيت مخلصاً لأفكاري»[٧].

٣- **إنكـار القـدر وقيُّوميـة ربّ العـالمين:** يـؤمن جـارودي بالماديـة الماركـسية، وينكـر القـدر، فيقـول —مـثلاً- : «فـاللّه والإنـسان والطبيعـة يـشتركون في مغـامرة واحـدة، ليـست نهايتهـا مكتوبـة في أي مكـان. فلـسنا عبيـد قـدر مـا، والقـدر لـيس بأيـدينا. فـنحن أيـدي هـذا القـدر، ونحـن مـسؤولون عـن خلـق العالم المستمر»[٨].

ويقـول: «إن اللّه لم يخلـق منفـذين مستـسلمين للقـدر، إنـه جعـل مـن الإنـسان خليفـةً، أي خليفـة اللّه علـى الأرض، والخليفـة لـيس منفـذاً قـدرياً، إنـه إنـسان يأخـذ القـرارات عنـدما يكـون الحـاكم غائبـاً، ولا

(١) R. Garaudy Bigrapgie du 20e siecle p.42
(٢) جارودي: الحقيقة كلها، ص ٢٠٧ - ٢٠٨، تعريب فؤاد أيوب.
(٣) MonTour du 20e siecle p.337.
(٤) السبيل الأردنية، العدد ١٠٤ بتاريخ ٩٥/١١/١٢.
(٥) جريدة تشرين السورية، ٨٤/٣/٢٥.

(٦) جريدة تشرين السورية، ٨٤/٣/٢٥.
(٧) جريدة تشرين السورية، ٨٤/٣/٢٥.
(٨) جارودي: حفاروا القبور ص ٨٩.

يمكن لأي كان أن ينزع منا هذه المسؤولية»[1].

٤- **إنكار البعث والنشور**: يقرر جارودي بجزم أن الحساب الأخير ليس هو الذي يأتي بعد انتهاء الحياة الدنيا، بل هو: «أن نحيا في صفاء مع الله في كل آن»[2]. وينكر البعث والنشور صراحة فيقول: «ذلك هو البعث، فهو ليس ظاهرة كيميائية غريبة يسوى بموجبها لحمنا ودمنا وعظمنا من جديدٍ. إن الأمر يتعلق بمثل ضربه الله لنا، وهو اللغة الوحيدة التي اعتمدها الله المتعالي، الذي ليس كمثله شئ ليوحي إلينا بحقيقته التي لا تدركها حواسنا ولا فهمنا، فالبعث ممكن كل يوم لأن قدرتنا على تقويم ماضينا تمكننا رغم هفواتنا وذنوبنا من بعثِ إنسانٍ جديدٍ واعٍ.

إن البعث والحياة الحقيقية هو ذلك الإسلام اللا مشروط لهذا التعالي الإلهي، والرابطة الجماعية التي أوكل لنا الله مهمة إرسائها»[3].

٥- **إنكاره لحجية السنة النبوية**: يقول جارودي: «إن سنة النبي لم توضع لأجل المستقبل، لما بعد وفاة محمد فحسب، إذ أن الله يذكر رسوله في عدة مناسبات أن من الواجب عليه، خارج الوحي الذي يبلغه في القرآن، أن يقول: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۞ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١- ٢٢] في القرآن أمر بطاعة النبي، لا بتقليده، اللهم إلا في إيمانه وعقيدته»[4].

وقد حاول جارودي أن يحدد الدوافع التي جعلته لا يرى التقيد بأقوال النبي ﷺ بعد وفاته، ومن الأمور التي ذكرها:

المسوغ الأول: أن النبي ﷺ رغب أن لا تدون أحاديثه. قال جارودي: «لم يشأ النبي ﷺ أن تدون أقواله الشخصية، بل أراد فقط أن تكتب آيات القرآن حتى لا يخاطر بالخلط بينها وبين كلام الله»[5].

قلت: وهذه شبهة باطلة، وإنما كان هذا في أول الإسلام ثم كتب بعض الصحابة حديثه بإذنه وإقراره بل وبأمره كما في حديث أبي شاهٍ، عند البخاري وغيره.

المسوغ الثاني: زعم جارودي أن النبي ﷺ: «كان يرى أن تفسيراته الشخصية لا أهمية لها إلا عندما تسترجع إلى القرآن: «بعد وفاتي، ستتكاثر الأحاديث والروايات المنسوبة إليّ، مثلما ينسب إلى الأنبياء السابقين عدد كثير من الأحاديث التي لم تكن صادرة عنهم. وما يشاع قوله وكأنه صادر عني يتعين عليكم أن تقارنوه بكتاب الله: فما كان متوافقاً معه فهو مني، سواء قلته في الحقيقة أم لا»[6].

قلت: وهذا حديث موضوع كما قال السّاجي، وعلي بن المديني، وابن بطة[7]، وغيرهم من الأئمة.

المسوغ الثالث: يذكر جارودي قولاً عن النبي ﷺ: «وعندما أبلغكم أمراً بخصوص الدين تقبلوه، ولكن عندما أخبركم أمراً بخصوص أمر الدنيا، فعندها لا أكون سوى بشر مثلكم»[8].

قلت: وهذا كذب على رسول الله ﷺ، وإنما قال ﷺ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» وذلك في موضوع تأبير النخل.

وفي الحقيقة إن أمر الدنيا الذي عناه الرسول ﷺ هو موضوع محدد في القضية، يقاس على تأبير النخل وما في موضوعه من الأساليب الزراعية والوسائل الصناعية المحضة، دون تشريعاتها التي يجب أن تخضع للشرْع الإسلامي بشكل كلي.

وهذا أمر واضح - كما يرى القارئ - فهو دنيوي تماماً لا يختص بالتشريع، وثمة فرق كبير بين قول الرسول ﷺ المتعلق بتقنية من تقنيات

(١) الموقف ١٩٨٤.
(٢) مقدمة جارودي لكتاب: المشكلة الدينية، ص ٧.
(٣) مقدمة جارودي لكتاب: المشكلة الدينية، ص ٨.
(٤) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٢ لجارودي.
(٥) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٣.
(٦) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٣.
(٧) ابن بطّة: الإبانة ١/ ٢٦٧.
(٨) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٣.

الزراعة وبين ما جاء من نصوص عن النبي ﷺ تنظم شؤون المسلمين بوحيٍ من الله تعالى.

المسوغ الرابع: يقول الجارودي: «لقد أُدخِلَ مفهوم السنة من خارج القرآن وبعد وفاة النبي ﷺ»[1].

قلت: وهكذا يتهم هذا اليهودي المسلمين بأنهم أدخلوا مفهوم السنة من خارج القرآن، وهذا افتراء عظيم على أمة الإسلام. والقرآن الكريم نفسه يبين كذب وافتراء جارودي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

المسوغ الخامس: تضخم الأحاديث النبوية: يقول جارودي: «وفي خلال قرنين –وبعد أحاديث صحيحة- كانت تضخم الأحاديث. كتب ابن خلدون: لم يكن كبار الأئمة يعلمون كلهم مقداراً واحداً من الأحاديث فلم يرو أبو حنيفة سوى ١٧ حديثاً واكتفى مالك برواية ٣٠٠ حديثاً في كتابه «الموطأ». وروى ابن حنبل ٣٠ ألف حديث في «مسنده»»[2].

قلت: وهذا اتهام واضح لأئمة الإسلام الذين دونوا السنة النبوية بأنهم ضخموا الأحاديث، وقد رد عليه الأستاذ التل رداً جيداً فليراجع.

والخلاصة: أن جارودي يدعو إلى إنكار حجية السنة، والاكتفاء بالقرآن. ويؤكد جارودي عدائه للسنة النبوية، واستخفافه بصاحبها عليه الصلاة والسلام وذلك في نصين:

الأول يقول فيه: «السنة: التراث. وهذه الكلمة غالباً ما تستعمل في القرآن بمعنى ازدرائي: فهي تدل على العادات الجاهلية التي يدعو القرآن للقطع معها. إن سنة النبي لم توضع لأجل المستقبل...».

وهكذا فسنة النبي ﷺ يمكن أن تكون -عند جارودي- : تراثاً جاهلياً داعياً للازدراء.

والثاني يقول فيه: «الشرط الأساسي لتجنب الانغلاق على التفسير الحرفي هو أن نستعيد القرآن نفسه بعيداً عن تحجر ١٢٠٠ سنة من التفسير، ومن المدرسية، ومن التقليد. مهما كانت قيمة التراث: سنة النبي، أقوال كبار المفسرين، كبار الفقهاء القدماء... ومهما كان الاحترام الذي يتوجب علينا تجاه هذا التراث لما نستمد منه من تجارب، لا يمكننا وضع القرآن –الكلام الإلهي- في مرتبة واحدة مع التراث الذي هو كلام إنساني، ولا يحق لنا ترك كلام الناس يحجب كلام الله»[3].

قلت: وهكذا يجعل جارودي سنة النبي ﷺ من التراث الإنساني، ويجعلها مما يحجب كلام الله عز وجل.

٦- **جارودي والتشريع:** يعتبر جارودي أحكام القرآن قانوناً أخلاقياً، وليست حكماً تشريعياً يجب الالتزام به، بل تشريع الأحكام الذي يسميه (الفقه) موكول إلى البشر، ولهذا يقول: «إن الشريعة أو الطريق/الشرعة تدل إذن على توجه أخلاقي شامل، وليس عدد معين من الوصايا الفقهية المرتبطة بأوضاع تاريخية تتبدل»[4].

وبما أن جارودي يؤمن بالتوراة والإنجيل على صورتهما المحرفتين الموجودتين الآن ويؤمن بالقرآن –أيضاً- ، والثلاثة عنده بمنزلة واحدة، وفيها أحكام مختلفة لا يمكن الأخذ بها جميعاً، لهذا فإنه يرى في نظريته هذه حلاً لهذه الإشكالية، فجعل هذه الكتب الثلاثة مصدراً لـ «قانون الله الأخلاقي» – وصرف النظر عن الأحكام التشريعية الواردة فيها- ، وهو الباب الذي يستطيع منه أن يلج إلى وحدة الأديان، والوحدة الإبراهيمية الفيديرالية، يقول جارودي تفسيراً لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ

---

(١) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٣.
(٢) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٣.
(٣) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٣.
(٤) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٦.

فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]:

«يعبر هذا النص بوضوح عن كون الشريعة (الطريقة) هي تلك التي تقود الإنسان إلى الله، وهذه لا يمكنها أن تكون حكماً قانونياً لأن التشريعات تتباين في التوراة والأناجيل والقرآن، بينما يشدد الله على تواصل رسالته: ينصح بالرجوع إلى أولئك الذين تلقوا الرسالة قبل القرآن، وبالتالي يوصي بالعودة إلى التوراة والأناجيل»[(١)].

قلت: ما أجرأك على الكذب على الله تعالى، ونحن نقرأ في القرآن نفسه –وإن رغم أنفك- : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ويفسر جارودي القرآن حسب النظرية المادية التاريخية فيعتبره: «تاريخ شعب ومن ثقافته وحياته»[(٢)].

وقد أطال الأستاذ عادل التل في هذا الفصل، فليرجع إليه.

٧- **الوحدة الإبراهيمية**: يؤكد جارودي دائماً اتباعه لنبي الله تعالى إبراهيم، وإيمانه به، وإذا سئل عن إسلامه فإنه يبادر إلى ذكر إبراهيم عليه السلام، والهدف من ذلك واضح جداً وهو: اعتبار اليهودية والنصرانية والإسلام ديناً واحداً ضمن «الفيديرالية الإبراهيمية».

يقول: «إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية في فكر ورأي النبي كانت إقامة ما نسميه اليوم «وحدة فيديرالية للطوائف الدينية»، لكن حصل أن هذا الأمر لم يتحقق أبداً في التاريخ، لا في المسيحية، ولا في اليهودية أو في الإسلام لكني أعتقد أن هذه المعادلة قابلة للتعايش والاستمرار، أي أن تصل بنا إلى روابط الجماعة»[(٣)].

وهكذا يزعم أن النبي ﷺ سعى لإقامة الوحدة الفيديرالية، ثم يتهم النبي ﷺ بالفشل في رسالته!!

ويبلغ جنون جارودي حداً لا يطاق عندما يستنبط التثليث من القرآن لايجاد التوافق بين النصرانية والإسلام فيقول: «سنضع جانباً – أيضاً- الاتهامات الموجهة من المسلمين إلى المسيحيين حول سر التثليث، لأن محتوى سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) يطابق تماما مع قول مجمع (لاتران) المنعقد عام ١٢١٥ حول التثليث «الله: آب، وابن، وروح قدس» وهذه حقيقة معنى (لم يلد ولم يولد) القرآنية»[(٤)].

ومن هنا فإن كل من يريد التمييز بين الأديان، والفرقان بين الحق والباطل، فإنه أصولي متطرف يجب مقاومته ولهذا السبب ألف جارودي كتابه «الأصوليات المعاصرة».

ولهذا الغرض –أيضاً- أسس جارودي «المعهد الدولي للحوار بين الحضارات» في قرطبة. ولعلنا نفصل القول في هذا لاحقاً.

٨- **طعنه في السلف الصالح**: إذا كانت جميع فرق الضلال والباطنية متواصية على مناصبة الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه العداء، والطعن فيه قديماً وحديثاً، فلا تعجب أن جارودي يشارك في نفس الجريمة[(٥)]. ثم يتبع ذلك بالطعن في بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وقبله الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وأخيراً: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله تعالى.

ولا عجب –أيضاً- أن يثني على

---

(١) الأصوليات المعاصرة، ص ٨٦.

(٢) الأصوليات المعاصرة، ص ٩٣.

(٣) الموقف ١٩٨٤.

(٤) الإسلام الحي لجارودي، ص ١٨.

(٥) الأصوليات ص ٧٨.

الماسوني: جمال الدين الأفغاني -كذباً والإيراني حقيقة- ويعتبر عمله التخريبي في الأمة: «محاولة تجديد إسلام حي في مواجهة إسلام حجرته الأصولية»[1].

٩- التفسير المادي التاريخي للقرآن الكريم: وقد ظهر لنا شئ من هذا عند ذكر انكاره تشريعات القرآن كأحكام قانونية، وهنا نكتفي بنص واحد له، إذ يقول: «لغة الرسالة ليست رمزية فقط بل تاريخية أيضاً»[2]. ويقول أيضاً: «تاريخانية القرآن تستنج أيضاً من واقعة أن الوحي بالرسالة الخالدة موجه إلى شعب معين في فترة محددة من تاريخه، وبلغة تمكنه من فهمها»[3].

١٠- جارودي والتصوف: ويشيد جارودي بالفكر الصوفي، ويثني على غلاتهم كابن عربي، بل ويظهر اهتمامه واعجابه بالصوفية الهندية الهندوكية[4]. وهكذا يهيأ جارودي الطريق من وحدة الأديان إلى وحدة الوجود.

١١- جارودي والرافضة: الباطنية جميعاً أمة واحدة وإن تعددت وجوهها، أو اختلفت في بعض المواقف والتفاصيل، وهكذا نجدها جميعاً في صف الثورة الرافضية التي فجرها كاهن النجف: الخميني، وجارودي منهم، ولذلك نجده يقول: «مع هالة الظفر الهائل للطف والقوة الروحية في مواجهة قوة الأسلحة المادية، صار الإمام الخميني القائد الباهر للبلاد باسم الأخلاقية الإلهية المقاومة لقمع «الشيطان» الأمريكي وربيبه؛ الشاه السابق»[5].

(١) الأصوليات ص ٧٥.

(٢) الإسلام الحي، ص ٦٨.

(٣) الإسلام الحي، ص ٦٨.

(٤) وقد فصل القول في هذا الأستاذ عادل التل، وإنما غرضي هنا الإشارة المجملة.

(٥) الأصوليات ص ٦٦.

وبعد: فهذه عقيدة جارودي المصادمة لأصول وقطعيات دين الإسلام، ولا يظنن ظان أنه قد تخلى عن شيء منها، فهو في كل مناسبة يؤكد على تمسكه بها، ومضيه في الوجهة التي هو عليها، ولعل من آخر اللقاءات الصحفية التي جرت معه ما نشرته مجلة «المجلة» بعددها ٨٣٩، وفيه تأكيد منه على مجمل ما تقدم.

موقف إمام العصر من جارودي

ولقد تصدى لهذا اليهودي الخبيث إمام العصر عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، فأصدر بياناً في حكم الشرع في جارودي، نشر في مجلة البحوث الإسلامية عدد ٥٠/ ص ٣٦١ – ٣٧١، وبين سماحته: «أن الجارودي لا يحكم عليه بأنه مرتد عن الإسلام، بل يقال أنه كافر أصلي، لم يدخل في الإسلام كما توهم بعضهم، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام كما اعترف هو بذلك حيث يقول: «انتهيت إلى الإسلام دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية» انتهى.

ابن باز عالمٌ رباني، فقيه النفس، ذو اطلاع واسع على واقع وحال الأمة، وهو يبني أقواله ومواقفه على أساس العلم والعدل، أما أولئك الحركيون الإسلاميون فلا علم عندهم بالشريعة ولا فقه لديهم بالواقع، لهذا تراهم يجمعون بين الجهل والظلم.

صفحات من تاريخ حركة الحشاشين (١)
الحسن بن الصباحِ.. مؤسس الحركة

نوفل الجبلي(*) – خاص بـ «الراصد»

تمهيد

تعــدّ حركــة الحــشاشين أحــد أخطــر التنظيمــات الباطنيــة الــشيعية في بــلاد المــشرق الإســلامي، وهــي حركــة ذات تــاريخ ســيئ وأفعــال مــشينة، وقــد شــكّلت خطــراً علــى قــادة وأفــراد المجتمــع الإســلامي؛ مــن خــلال الاغتيــالات وعمليــات القتــل المنظَّمــة، كمــا تــسببت في بــث الرعــب والخــوف بــين عامــة أبنــاء المجتمــع بــسبب حركــات الــسلب والنهــب وقطــع الطريق التي قامت بها.

ســيكون حــديثنا عــن مؤســس هــذه الدولــة أو الحركــة، وأحــد أبــرز الرمــوز الباطنيــة المعاديــة لأهــل الــسنة، وهــو الحــسن بــن الــصبَّاح، الداعيــة المتطــرف وحامــل لــواء الفــاطميين النــزاريين في بــلاد فــارس، أحــد شخــصيات التــاريخ البــاطني الغامضة ..

والمتأمــل في الكتابــات الحديثــة – ســواء الموجــودة علــى الــشبكة العنكبوتيــة أو في بعــض الكتــب الورقيــة - يجــد التهويــل المفــرط في شخــصية هــذا الرجــل ونــسبة الأفعــال الخارقــة إليــه وإلى أتباعــه، ويعــود الــسبب في ذلــك إلى اعتمــاد الكُتّــاب بــشكل كامــل علــى كتابــات المستــشرقين، دون الرجــوع إلى المــصادر العربيــة المنــصفة.. وقــد حاولنــا استقــصاء تــاريخ هــذا الرجــل ومراحــل تأسيــسه لحركــة الحــشاشين استناداً للمصادر الموثوقة والموثقة..

من هو الحسن بن الصبَّاح؟ وبداياته..

هــو حــسن الــصبَّاح أو حــسن بــن علــي بــن محمــد الــصبَّاح الحمــيري[1]، قيــل إنــه يمــاني الأصــل، مــن حِميَــر[2]، ولــد في العــام ٤٣٠هـــ[3] في مدينــة قــم[4]، ثــم نــشأ وتربــى في الــري مــن دولــة فــارس. تــأثر بالــدعوة الفاطميــة الإسماعيليــة وعمــره ١٧ ســنة[5] في زمــن الــسلطان مُلكــشاه الــسلجوقي، فقــد اتــصل بكــبير دعــاة الإسماعيليــة في أصــبهان وهــو عبــد الملــك بــن العطّــاش الطبيــب - الــذي ملــك قلعــة أصــبهان- وابنــه أحمــد، وتحــول إلى مذهبهما[6].

وقــد بــرع في علــوم الفلــسفة والحــساب

(*) باحث يمني.

(١) جامع التواريخ للهمذاني.
(٢) الأعلام، الزركلي (١٩٣/٢).
(٣) تذكر بعض الروايات أنه ولد في (٤٤٥هـ)، انظر الموسوعة العربية، المجلد الثامن.
(٤) قيل: إنه ولد في مرو، الأعلام للزركلي (١٩٣/٢).
(٥) الموسوعة الميسرة ..
(٦) الموسوعة العربية (٣٠٨/٨)، والكامل (٣٧٤/٤).

والهندسة والنجوم والسحر وغيرها[1]، فأُعجب به معلمه ابن العطاش، وعيّنه نائباً له في الدعوة[2].

قال عنه الذهبي: كان من كبار الزنادقة، ومن دهاة العالم.. وكان قوي المشاركة في الفلسفة والهندسة وكثير المكر والحيل، بعيد الغور[3].

ونلاحظ اهتمام أصحاب الدعوات الباطلة بعلوم الفلسفة والنجوم والسحر، والتي لا تمت بصلة لعلم الكتاب والسنة!

يذكر ابن الأثير أن الوزير نظام الملك[4] كان يكرم الحسن بن الصبَّاح، وأنه قال له يوماً عن طريق الفراسة: عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام[5]. ولعل ابن الصبَّاح كان يستعمل التقية التي تعد أحد أهم أبجديات مذهبهم، ولهذا أكرمه الوزير، وإلا فإن نظام الملك كان كارهاً لمعتقد الإسماعيلية، محارباً لأتباعه، فهو أحد طلاب الإمام الغزالي المعروف بردوده العلمية وبمكافحته القوية للإسماعيليين.

الرحلة إلى مصر..

بعث ابن العطاش طالبه الحسن بن الصبَّاح إلى بلاد مصر حاضرة الدولة الفاطمية لتلقي أصول الدعوة الإسماعيلية هناك في دار الحكمة، فخرج من بلاد الري متوجهاً تلقاء مصر، حتى وصل إليها بزي تاجر في العام ٤٧٩هـ، والتقى هناك بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله[6].

وظل الحسن بن الصبَّاح مقيماً في مصر زُهاء ثمانية عشر شهراً، في ضيافة المستنصر، الذي أمدّه بالأموال[7] وأغدق عليه بالخيرات. وهدف المستنصر من الحفاوة في استقبال ابن الصبَّاح: أن يصنع منه داعية لدولة الفاطميين في بلاد المشرق التي تكاد تخلو من أتباع ودعاة لهم، إلا من جماعات شيعية منبوذة قليلة لا تكاد تُعرف[8].

وبعد أن تلقى ابن الصبَّاح العقيدة الإسماعيلية الباطنية، وتشبع عقله بمعتقداتهم، أرسله المستنصر ليدعو للفاطميين في بلاد العجم، وسأله ابن الصبَّاح: من إمامي بعدك؟ فقال: ابني نزار، وهو أكبر أولاده[9].

وهذا هو السبب في انشقاقه عن الدولة الفاطمية، فبعد وفاة المستنصر بالله قام وزيره بدر الدين الجمالي بتنصيب ابن المستنصر الأصغر وابن أخت الوزير وهو المستعلي، وتم إقصاء نزار عن الحكم والإمامة، ولكن الحسن بن الصبَّاح لم يخضع للمستعلي، وظل متمسكاً بالدعوة إلى نزار، وذلك لأنه كان يرى أن تولية نزار تتفق مع التعاليم الإسماعيلية التي تشترط في الإمام أن يكون أكبر أبناء أبيه[10]..

وفي الحقيقة فقد وقع ابن الصبَّاح في معضلة كبيرة وهي موت إمامه، والإمام يعد الركيزة الأهم في العقيدة الإسماعيلية، مما

(١) الكامل، ابن الأثير (٣٧٤/٤).
(٢) الموسوعة العربية (٣٠٩/٨).
(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي (٥٠٠/١).
(٤) نظام الملك: أبو علي الحسن الطوسي، أحد أشهر وزراء السلاجقة، كان وزيرا لألب أرسلان وابنه ملكشاه.
(٥) الكامل، ابن الأثير (٣٧٤/٤).
(٦) المرجع السابق (٢١٨/٤).
(٧) المرجع السابق.
(٨) تاريخ الفاطميين، د. محمد طقوش ص ٣٩٢، ٣٩٣. الأعلام، الزركلي (١٩٣/٢).
(٩) الكامل، ابن الأثير (٢١٨/٤).
(١٠) تاريخ الفاطميين، د. محمد طقوش ص ٣٩٣.

اضطره إلى الاحتيال بأن نزاراً لم يمت وإنما غاب كغيبة المهدي، وسيعاود الظهور بعد فترة من الزمن. وجاء في بعض الروايات أنه ادعى أن الإمامة انتقلت إلى ابن نزار المستتر والمتواجد في قلعة ألموت، والذي ولدته زوجة لنزار بعد أن جرى تهريبها من الإسكندرية إلى بلاد قزوين!

البدء في الدعوة..

في أواخر عام ٤٧٢هـ غادر الحسن بن الصبَّاح مصر إلى الشام بحراً وطاف فيها يدعو إلى الخليفة المستنصر، ثم انتقل إلى الجزيرة وديار بكر وبلاد الروم ورجع إلى أصبهان سنة ٤٧٣هـ، وتحول منها إلى كاشغر وما وراء النهر وبث دعاته في أرجاء خراسان وبلاد الديلم[١].

ثم عاد إلى بلاد الري ولم يمكث طويلاً فيها بسبب نشاطه في الدعوة إلى معتقده، واتهمه رئيس الري – وهو رجل يُدعى أبو مسلم الرازي صهر الوزير نظام الملك- بدخول بعض الدعاة المصريين الفاطميين عليه - حيث إن السلاجقة كانوا على غير وفاق مع الفاطميين في مصر- فخافه ابن الصبَّاح، وهرب منه[٢]، وظل يسيح في البلاد يبحث عن مكان آمن وحصين له ولأفراد دعوته، حتى وقعت عينه على قلعة في أعالي جبال قزوين، تحديداً في منطقة رودبار من إقليم الديلم، يقال لها قلعة ألموت..

وقصة بناء هذه القلعة أنه قيل إن ملكاً من ملوك الديلم كان كثير التصيد، فأرسل يوماً عقاباً، وتبعه، فرآه سقط على موضع هذه القلعة، فوجده موضعاً حصيناً، فأمر ببناء قلعة عليه، فسماها أله موت، ومعناه بلسان الديلم: تعليم العقاب، ويقال لذلك

(١) انظر الموسوعة العربية (٣٠٩/٨)

(٢) الكامل، ابن الأثير (٣٧٤/٤).

الموضع وما يجاوره طالقان. وكان في تلك النواحي قلاع حصينة أشهرها ألموت، وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجعفري، وقد استناب فيها رجلاً علوياً، فيه بله وسلامة صدر[٣].

السيطرة على قلعة ألموت..

لم يجد الحسن بن الصبَّاح مكاناً أنسب من هذه القلعة يأوي دعوته ويحميهم من جنود المسلمين، ولم يجد حيلة يحتال بها على أهل تلك النواحي إلا الدخول عليهم من باب الزهد والورع، فأظهر لهم التقشف والعبادة، ولبس المسح والصوف، فتبعه أكثرهم، وكان من ضمنهم العلوي صاحب القلعة، فقد اغتر به، وانطلت عليه أكاذيبه، وكان يجلس إليه يتبرك به ويعظم شأنه، حتى أحس ابن الصبَّاح أنه تمكن منه وأحكم أمره، فدخل يوماً على العلوي بالقلعة، وقال له ابن الصبَّاح: اخرج من هذه القلعة. فتبسم العلوي، وظنه يمزح، فأمر ابن الصبَّاح بعض أتباعه بإخراج العلوي، فأخرجوه وأصحابه إلى واد متاخم للقلعة ليس له منفذ وأغلق الأبواب دونهم، وأعطاه ماله وملك القلعة[٤].

قال الغزالي في سر العالمين: شاهدت قصة الحسن بن الصبَّاح لما تزهد تحت حصن ألموت، فكان أهل الحصن يتمنون صعوده، ويتمنع ويقول: أما ترون المنكر كيف فشا، وفسد الناس. فصبا إليه خلق، وذهب أمير الحصن يتصيد، فوثب على الحصن فتملكه، وبعث إلى الأمير من قتله[٥].

وبهذا الأسلوب المخادع استطاع ابن الصبَّاح أن يحصل على بغيته، وتوفر له المكان الآمن الذي بعث منه عمليات الاغتيال ونظم فيه

(٣) الكامل، ابن الأثير (٣٧٤/٤).

(٤) المرجع السابق (٣٧٤/٤)، والموسوعة العربية (٣١٠/٨).

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٨١/٣٧).

حركات المؤامرة..

وكر التصدير..

بعد أن استقر الحسن بن الصبَّاح في قلعة ألموت وتمكن من السيطرة على القلاع المجاورة لها، بدأ في نشر مليشياته بغرض السيطرة على أموال بعض القرى والحصول على أتباع جدد، وكان يستهدف بمليشياته القرى النائية، والناس الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم، ففي سنة (٤٨٤هـ) تمكن من السيطرة على منطقة قهستان الجبلية[١]، وكان سكان تلك المنطقة في بداية الإسلام، ويعيش فيها بقية من بني سيجمور أمراء خراسان أيام الساسانية.

استطاع ابن الصبَّاح أن يضم سكان تلك المنطقة إلى ملكه عن طريق استغلال حالة العداء بين بني سيجمور وبين أمير السلاجقة على تلك المنطقة، مستغلاً ظلم الأمير لهم الناتج عن رفضهم إعطاءه أختاً لسيدهم[٢].

كذلك استطاع الحسن بن الصبَّاح أن يسيطر على أقاليم وقلاع كثيرة؛ منها قلعة "وسنمكوه ملكوها"، والتي تأذى الناس بسبب وجودهم بها، فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية أشهر، حتى أخذت منهم سنة ٤٨٩هـ[٣].

وظل في مقره - قلعة ألموت- يبث الرعب، ويخطط المخططات الإجرامية، ولم يخرج منها لفترة طويلة من الزمن، ولنا وقفات مع بعض جرائمه وأتباعه، وكيف عمل السلاجقة على اجتثاث جذورهم من بلاد المسلمين فيما سيأتي إن شاء الله فللحديث بقية..

لفتات سريعة مما سبق:

❖ دائماً ما يهتم أصحاب العقائد الفاسدة بالعلوم التي تضمن بقاء عقائدهم مثل: علوم الفلسفة والنجوم والسحر، ويهمِلون علم الكتاب والسنة لعلمهم أنهما يتنافيان مع عقائدهم.. ولأنهم يجدون في تلك العلوم بغيتهم من إدخال شبهاتهم الباطلة على دين الإسلام..

❖ اختلاق الأسباب التي تضمن بقاءهم في الحكم، مثل ادعاء الغيبة والاستتار في حق الإمام المزعوم، ولا زال أصحاب هذه العقائد حتى يومنا هذا يضحكون على عوام الناس بمثل هذه الترهات والمزاعم، وما ولاية الفقيه أو نائب الإمام عنا ببعيد..

❖ حينما لا يجدون قبولاً لدعواتهم بين الناس، يلجؤون إلى استخدام القوة حيناً، واستغلال حاجة الناس إلى المساعدة حيناً آخر.

استباحة دماء الناس وأموالهم بشكل مُفرِط هو ديدنهم، ويغفلون كل معاني الإنسانية فضلاً عن معاني الدين الإسلامي الحنيف.. وما المجازر المذهبية التي شهدها المسلمون في العراق إلا خير دليل على ذلك..

(١) على الحدود الحالية بين إيران وأفغانستان.
(٢) الكامل، ابن الأثير (٣٧٥/٤).
(٣) المرجع السابق. وقد ذكر ابن الأثير معظم القلاع التي وقعت تحت سيطرة الحشاشين.



هل ينجح السُنة في المواجهة مع المالكي؟

عبد الحميد الكاتب(*) –خاص بالراصد

يبدو أن رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي نجح في إجبار خصومه السنة على انتهاج أسلوب مختلف في التعامل مع سياسة الإقصاء والقمع الطائفي، فالتصعيد الذي ما زال مستمراً من قبل الجانب الحكومي لم يُقابل بصمت وانهزامية من قبل الجانب السني، ولم تصدق ظنون من اعتقد أن السنة تحولوا إلى حملان وديعة وخراف مسالمة في دولة «حزب الدعوة».

وفي نفس الوقت فإن المقاومة السنية (الشعبية والسياسية) لم ترقَ لمستوى الإرهاب الحكومي، وبالتالي فإن الإفراط في التفاؤل لن يبدد الخطر الذي ما زال قائماً وهو «تطويع وتركيع السنة».

وقد تعددت وسائل حكومة المالكي في استهداف المكون السني العراقي، ويمكن أن نذكر منها:

❖ الإرهاب القضائي:

حيث تتخذ الحكومة من مذكرات الاعتقال وفق المادة الرابعة من قانون مكافحة الإرهاب لعام ٢٠٠٥ أو ما يعرف بـ (٤ إرهاب) سلاحاً قوياً في ضرب وملاحقة رموز وشخصيات السنة المعارضين والمتمردين على دكتاتورية المالكي، فأعلى منصب سني في العراق وهو نائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي تعرض لإرهاب «قانون مكافحة الإرهاب» حتى اضطر للجوء لتركيا، وبعد أن كانت هذه المذكرات القضائية تصدر بحق رجال المقاومة وأئمة المساجد والناشطين في المجتمع السني أصبحت تطال كبار المسؤولين السنة مثل: نائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي، ونائب رئيس مجلس محافظة بغداد رياض العضاض، وعضو مجلس المحافظة ليث الدليمي.

والإرهاب القضائي شكل رسمي ومُقنن لعمليات الاجتثاث والإبادة التي تعرض لها أبناء السنة خلال الأعوام السابقة (٢٠٠٥- ٢٠٠٧) وإذا كانت المليشيات الشعبية وعلى رأسها جيش المهدي هي المسؤولة عن إدارة الملف في تلك الفترة، فإن النشاط الميليشياوي وضع نفسه في إطار قانوني ورسمي لكنه في ذات الوقت لم يفقد طابعه الهمجي في أساليبه وأدواته كـ (قانون المخبر السري، المادة ٤- إرهاب، كثرة عمليات الاعدام، انتزاع الاعترافات بقوة التعذيب، المعتقلات السرية، تعدد الأجهزة الامنية).

❖ الاستيلاء على الأوقاف السنية:

في خطوة إضافية لتعزيز هيمنة الشيعة على المناطق السنية وزيادة حجم وجودهم فيها، قام الوقف الشيعي باستخدام القوة العسكرية لنقل ملكية الكثير من العقارات والأماكن الدينية التابعة للوقف السني إلى أملاك الوقف الشيعي!!

حيث بدأ الأمر في محافظة التأميم (كركوك)، حين أقدمت قوة عسكرية برئاسة

(*) كاتب عراقي.

نائب مدير الوقف الشيعي سامي المسعودي على اقتحام دائرة التسجيل العقاري وتحويل ملكية أكثر من ٥٠٠٠ دونم في مختلف أقضية ونواحي المحافظة من الوقف السني إلى الوقف الشيعي.

وقد أصدر ديوان الوقف السني بيانا له بتاريخ ٢٠١٢/٤/٣٠ جاء فيه: (أن التجاوزات الصادرة من دوائر الوقف الشيعي لم تقتصر على كركوك فقط، بل هناك حوادث مماثلة قد حصلت في ديالى وبغداد أيضاً).

وفي ٢٠١٢/٥/٢٩ تم اقتحام دائرة التسجيل العقاري في سامراء وتحويل ملكية (العتبة العسكرية) إلى ملكية الوقف الشيعي، وهناك تحركات تستهدف «المسجد الكبير في سامراء» كما أعلن أحد المسؤولين في محافظة صلاح الدين إغلاق دائرة التسجيل العقاري في سامراء، مؤكداً أن وزارة العدل بدأت تعمل بشكل سري لاستملاك ما مجموعه ٥ دونمات من الأراضي حول محيط مرقدي الإمامين علي الهادي والعسكري[١].

وفي بغداد وضع الوقف الشيعي يده مؤخراً على مسجدي الآصفية والخفاخين، وهما من مساجد بغداد القديمة والتاريخية.

❖ استهداف المساجد:

عاد ملف استهداف المساجد السنية إلى الواجهة بعد عدة هجمات طالت المساجد في محافظات ديالى والبصرة والديوانية أسفرت عن أضرار مادية وبشرية، لا سيما في جامع الحسن بن علي في منطقة الحديد غرب مدينة بعقوبة حيث قتل ٥ مصلين بعد انفجار عبوة ناسفة فجر يوم ٢٠١٢/٥/٩ وتتزامن هذه الهجمات مع حملة ديوان الوقف الشيعي للسيطرة على العقارات والأراضي الوقفية لأهل السنة، وتهدف مثل هذه الهجمات إلى تذكير السنة بأيام القتل الدموية لا سيما بعد تفجير سامراء الأول (٢٠٠٦/٢) ولمنعهم من المطالبة بالعشرات من المساجد المغتصبة والتي تحولت إلى حسينيات أو إلى أماكن مهجورة وربما ثكنات للجيش في بعض المناطق في بغداد ومحافظات الجنوب والفرات الأوسط.

❖ ترغيب وترهيب السياسيين:

في ظل غياب الجبهة السياسية المدافعة عن الحقوق السنية، لم يكن من الصعب على المالكي أن يفتت القائمة الأقرب للسنة (ائتلاف العراقية) بواسطة الإغراء أو الضغط والإكراه، فقد تمكن المالكي من تحييد وإقصاء جميع قادة هذه القائمة، فطارق الهاشمي ملاحق من قبل القضاء بتهمة إدارة فرق موت! ورافع العيساوي وزير المالية مُهدد بفتح ملفات فساد أو «إرهاب»، أما صالح المطلك نائب المالكي فمتذبذب في مواقفه تارة يؤيد المالكي وتارة يلعن دكتاتوريته! أما أسامة النجيفي رئيس البرلمان العراقي فموقفه مرتهن للموقف التركي لذلك نجده يميل إلى الحياد وعدم التصعيد.

أما نواب القائمة ممن لم يتمكن المالكي من إغرائهم واستمالتهم فمهددون أيضاً بمذكرات اعتقال وفق المادة (٤ إرهاب) وفي معركة «سحب الثقة» الأخيرة تمكن المالكي من سحب البساط من تحت أقدام خصومه، وبدا المالكي متحكماً ومسيطراً على القائمة العراقية أكثر من سيطرة قادتها عليها.

❖ تنظيم القاعدة:

ما زال تنظيم القاعدة يعد أحد وسائل حكومة المالكي لضرب السنة بشكل أو بآخر، ويتمثل دور القاعدة بالآتي:

- القيام بعمليات قوية في المناطق السنية يذهب ضحيتها الكثير من المدنيين والآمنين لتشتيت الانتباه وخلط الأوراق عند السنة، أو اغتيال الناشطين والمعارضين لحكومة المالكي.
- يعقب هذه العمليات حملات أمنية تلاحق الناشطين السنة المعارضين للمالكي، بتهمة

(١) وكالة السومرية نيوز (الثلاثاء ٢٠١٢/٥/٢٢).

الانتماء للقاعدة حيث تُنتزع الاعترافات من المعتقلين بالقوة ثم يتم ترحيلهم إلى بغداد.

- يستخدم المالكي التنظيم في ضرب منشآت وشخصيات شيعية، للربط بين السياسيين السنة وتنظيم القاعدة، فالتفجير الذي استهداف مقر الوقف الشيعي في بغداد يوم ٢٠١٢/٦/٤ بدا وكأنه انتقام رسمي من حملات الوقف الشيعي على الأوقاف السنية!

وبسبب هذه العلاقة المريبة بين حكومة المالكي والقاعدة أصبح السنة يرفضون محاكمة أعضاء القاعدة في بغداد، حيث رفض نواب محافظة الأنبار أن يحاكم المتورطون بعملية حديثة (٢٠١٢/٣/٥) في بغداد وطالبوا بنقل محاكمتهم إلى محافظة صلاح الدين أو الأنبار، لأن الأجهزة الأمنية التابعة للمالكي سرعان ما تفرج عن المتورطين في عمليات القاعدة لتقوم باستغلالهم بشكل أو بآخر.

فرص السُنة في مواجهة المالكي

الصراع بين السنة والمالكي أصبح صراعاً مكشوفاً وواضحاً، رغم إحكام المالكي قبضته على زمام الساسة والأمن، ولا يزال أمام السنة فرص وحظوظ في المواجهة والمقاومة، والمقصود الأهم هنا هو المواجهة الطوعية الاختيارية مع المالكي وسياساته الطائفية الإقصائية، وليست تلك المواجهة التي تفرض فرضاً على السنة ويتحكم الطرف المقابل بإدارتها وتكون محض ردود أفعال عشوائية غير مدروسة أو منظمة.

وتتضح هذه الفرص من خلال:

١- القيام بحملات توعية للشارع السني، وفضح عملاء المالكي في المناطق السنية، فلا بد أن تعم حالة من الرفض الشعبي لأجندة المالكي والقوى السنية المؤيدة له سواء (الأحزاب السياسية أو القيادات الأمنية).

٢- استغلال النقمة الكردية على حكومة المالكي في بغداد المركز، وهو خلاف يكبر ويتعمق بين المالكي ومسعود برزاني، وكشف القوى السنية المتواطئة مع المالكي ضد الأكراد سواء في الموصل أو كركوك.

٣- ما تزال حكومة المالكي عاجزة عسكرياً عن السيطرة على المناطق السنية في حال وقوع تمرد مسلح أو انتفاضة شعبية، فلا ينبغي الغفلة عن هذا الجانب والتيقظ لخطورة زرع الحكومة لقطاعات عسكرية ثقيلة التسليح في مناطق السنة تدين بالولاء الطائفي للمالكي.

٤- التنبيه المستمر والفضح المتواصل لسياسات المالكي الطائفية والدكتاتورية، وإعداد تقارير مفصلة بذلك لتُعرض على الرأي العام العربي والدولي.

٥- الاهتمام بقضية المعتقلين السنة وإثارتها إعلاميا وسياسياً.

٤- لا بد من خلق أمل كبير وتعويل واسع في الأوساط السنية على قرب سقوط النظام السوري الحليف للمالكي كونه سيشكل ضربة كبيرة للحكومة الشيعية في بغداد، فالقضية السنية لا ينبغي أن تبقى في الإطار القُطري الضيق، بل يجب أن تأخذ بعداً إقليمياً.

قبل تكرار التجربة السورية

لن يكون للفشل في المواجهة والعجز عن مواصلة المقاومة للمخططات الطائفية والسياسات الدكتاتورية إلا نتيجة واحدة هي تمكين المالكي أو من يخلفه من استنساخ «تجربة حافظ الأسد» بالحكم القمعي الطائفي وتركيع السنة وإجبارهم على التعايش مع دولة أمنية، يُسلط فيها السني على السني، وتكثر فيها منابر الوسطية والاعتدال المأجورة لصالح المالكي والتي تحذر من الخطاب الطائفي والفتنة المذهبية، في الوقت الذي يستولي فيه الشيعة على الحكم بشكل مطلق.

إن النظام الطائفي الحاكم في العراق لا يزال يحاول تثبيت نفسه، ولذلك ففرصة التخلص منه أو الحد من دكتاتوريته أكبر وأقل خسارة من التخلص من نظام ثبت نفسه ووطد حكمه وأقام التحالفات الإقليمية والدولية لترسيخ قدمه في

السلطة.

فهل يدرك سنة العراق هذا قبل فوات الآوان، أم أنهم لم يتعظوا من سنة سوريا الذين احتاجوا لأكثر من ٤٠ سنة حتى يبدؤوا في التخلص من الديكتاتور الطائفي عبر شلالات من الدم؟؟

فيروس المانعة الإيراني

بوزيدي يحيى(*) -خاص بالراصد

من مصر التي افتتحت فيها حسينية سرعان ما تم غلقها إلى تونس التي تتوالى التقارير منها عن النشاط التبشيري الشيعي الذي تقوم به جمعيات شيعية مدعومة من الجمهورية الإسلامية ومركزها الثقافي الذي كشف نشاطاته التشييعية تحت غطاء الثقافة، مرورا بليبيا التي تحدث مفتيها الصادق الغرياني عن نشاط تبشيري شيعي تشهده بلاده، تستمر ظاهرة التشيع التي عمت المنطقة منذ ثلاثة عقود، تاريخ نجاح الثورة في إيران، حيث شن من يومها نظام الملالي هجمة عقائدية سخّر فيها كل طاقاته وإمكاناته في هذا المجال.

وبالموازاة مع هذا النشاط التبشيري يستمر النظام الإيراني في دعمه لنظام بشار الأسد بكل الوسائل لقمع ثورة الشعب السوري هناك، مع الاستمرار في إثارة القلاقل في مملكة البحرين واستفزاز دول الخليج والتدخل في شؤونها الداخلية كزيارة أحمدي نجاد للجزر الإماراتية المحتلة أو تهديدها كما حصل حول مشاورات الوحدة بين المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين، ورغم كل هذه الحقائق نجد من يدافع عن إيران ويتحدث عن ضرورة تحسين العلاقة معها وعدم المبالغة في التهويل من الخطر الإيراني بل وحتى الترويج للتجربة الإيرانية الرائدة.

(*) باحث جزائري.

عند التفحص في هذه الإشكالية ومحاولة تفكيك رموزها وفهمها فإنه لا يوجد أفضل من اتخاذ فيروس نقص المناعة البشري المسبب لمرض الإيدز كنموذج لتفسير وتشريح الظاهرة سواء من حيث الأسباب وآليات العمل أو طرق الوقاية والعلاج.

خطر الفيروس الإيراني

اكتشف فيروس HIV المسبب لمرض الإيدز في بداية ثمانينيات القرن الماضي، ومن يومها تتكاتف الجهود لإيجاد علاج شافٍ منه، وخصص يوم الأول من ديسمبر كيوم عالمي لمرض الإيدز.

وبشكل مختصر فإنه عندما يغزو فيروس نقص المناعة البشري الخلايا المناعية الرئيسية ويتكاثر فإنه يسبب تدميراً لجهاز المناعة بالجسم مما يؤدي إلى حالة رهيبة من تقبل العدوى أو الإصابة بالسرطان أو هما معاً وهكذا يكون الجسم لقمة سائغة وفريسة سهلة للعلل والأمراض، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى الموت. وأخطر ما في هذا المرض أن المصاب قد لا يكتشفه إلا بعد مرور العديد من السنوات على إصابته به.

هذا التوصيف لمرض الإيدز ينطبق بشكل كامل على الخطر الإيراني، إذ أنه يهاجم جهاز مناعة الأمة المتمثل في عقيدتها التي هي أساس وحدتها واتحادها والحصن المنيع من أي خطر خارجي قد يسهل عليه اختراقها بعد تدمير خطها الدفاعي الأول المتمثل في أمنها الديني والفكري.

فبعد نجاح الثورة الإيرانية والتي كانت هي الأخرى مع بداية الثمانينيات كما مرض الإيدز تقريبا!! بدأت كما أشرنا في مقدمة الموضوع بعمل منظم وممنهج للتوسع على حساب جوارها العربي انطلاقا من مبدأ تصدير الثورة، وشهدت هذه المرحلة موجة تشيع كبيرة - بدأ سياسياً وتحول إلى تشيع عقدي وديني - في الكثير من البلدان العربية خاصة منها دول المغرب العربي التي وبحكم البعد الجغرافي وعدم وجود احتكاك مباشر بين السنة والشيعة لم يدرك مواطنوها وفي مقدمتهم شباب الحركة الإسلامية وقياداتها حقيقة العقيدة

الـــشيعية بـــشكل عــــام والأيديولوجيــــة الخمينيـــة بـــشكل خـــاص ومـــا تحملــــه مـــن أفكــــار دينيـــة بمضامين سياسية.

أمـــا دول الخلـــيج العربـــي فقـــد غـــرس الخمـــيني خلايــاه في جــسدها مــسببا شــرخا اجتماعيــا أفقيــا وعموديـا بـين مكونـات المجتمـع الـسنية والـشيعية مـن جهـة وبـين الـشيعة وأنظمـتهم مـن جهـة أخـرى، مـصورا العلاقـة بـين الطـرفين علـى أنهـا إقـصائية تنطلـق مـن خلفيـة عقديـة قديمـة يحمـل فيهـا أهـل الـسنة والجماعـة حقـدا دفينـا لآل البيـت وأن الخـلاص الـشيعي علـى يـد الخميني نائب الإمام المهدي المنتظر.

تركيبة الفيروس الإيراني

يعتـبر شـعار الممانعــة ومواجهــة الــشيطان الأكــبر والأصـغر التركيبــة الأصـلية للفـيروس الإيرانـي والـتي اسـتمرت في أداء مهامهـا واخـتراق الجـسد الـسني لمـدة طويلــة دون أن يـــتم اكتـــشافها مثلمـــا لا يكتـــشف مـرض الإيـدز إلا بعـد مـرور وقـت طويـل، وذلـك لأن الجهـاز المنـاعي الـسني أصـابه خلـل كـبير ومـضاداته المناعيـــة تعتـــبر أي جـــسم يرفـــع شـــعار القـــضية الفلـــسطينية ومواجهـــة إســـرائيل جـــزءاً مـــن الجهـــاز المنـــاعي يحمـل نفـس المحـددات مـا يـؤدي إلى ضـعف الاستجابة المناعية له.

فهـذا الخطـر الإيرانـي رغـم أعراضـه الواضـحة للعيـان اعتبرتــه الكــثير مــن النخــب المثقفــة مجــرد وعكـــة صـــحية اجتماعيـــة ســـرعان مـــا ســـتزول، بـــل الـبعض تعامـل معـه علـى أنـه ظـاهرة صـحية تبـشر بمرحلـة جديـدة للأمـة الإسـلامية والعـلاج الـشافي مـن المـرض الأصـيل والخطـير ألا وهـو المـشروع الـصهيو - أمريكي في المنطقة.

وقـــد اســـتثمرت الجمهوريـــة الإســـلامية كـــثيرا في شـعار الممانعـة خاصـة بعـدما طالـت عـدوى فـيروس الممانعـــة الإيرانـــي العديـــد مـــن التيـــارات القوميـــة والإسـلامية الـتي بـدل مهاجمتهـا الفـيروس تحولـت إلى خلايـا متـسرطنة بحـد ذاتهـا تقـوم بمهاجمـة الأجهـزة المناعيـة الأخـرى، إذ وقفـت هـذه التيـارات لـردح مـن الـزمن إلى جانـب مـا يـصطلح عليـه إعلاميـا بمحـور الممانعـة، وأخـذت تنـافح وتـدافع عنـه واسـتمرت هـذه الخلايـا في أداء عملـها علـى أكمـل وجـه حتـى مرحلـة ما قبل الثورات العربية.

فـرغم التحـذيرات المتتاليـة منـذ اليـوم الأول إلا أنـه لم يـتفطن لهـذا المـرض الخطـير إلا بعـد مـرور أكثـر مـن ثلاثـين سـنة بعـدما وقفـت أهـم خليـة سـرطانية وهـي الأمـين العـام لحـزب االله حـسن نـصر االله إلى جانـب النظـــام الـــسوري منكـــرا الجـــرائم المرتكبـــة بحـــق الـــشعب الـــسوري، ومتهمـــا إيـــاه بالعمالـــة لإســـرائيل وتنفيـــذ مـــؤامرة غربيـــة ضـــد المقاومـــة، والمواقـــف المزدوجـــة للنظـــام الإيرانـــي في البحـــرين وســـوريا والتخنـــدق الطـــائفي أيـــضا للقـــوى الـــشيعية إلى جانـــب النظـام النـصيري في سـوريا. حيـث صـدم الـرأي العـام العربـي بمواقـف حـزب االله مـن الثـورة الـسورية ووقوفـه إلى جانـب النظـام البعثـي، ولم تكـن صـدمة مثقفـي محـــور الممانعـــة بأقـــل مـــن صـــدمة المـــواطن العربـــي البـــسيط، ولكـــن هـــذا الأخـــير قـــد يكـــون معـــذورا لعاطفتـــه وبـــساطة إطلاعـــه وحتـــى مـــستواه العلمـــي والثقافي.

ولكــن زمــرة المــثقفين الــذين لم يتوانــوا في اتهــام كـــل صـــوت منتقـــد لحـــزب االله بالعمالـــة للـــصهيونية والطائفيـــة يـــصعب تفـــسير مـــواقفهم تلـــك المغاليـــة في الـــدفاع عنـــه طبعـــا باســـتثناء مـــن لازال يمـــارس مـــا يصطلح عليه السوريون بالتشبيح الإعلامي.

تحورات الفيروس الإيراني

يـــشير المتخصـــصون إلى أن فـــيروس الإيـــدز مـــن خـــلال تحوراتـــه الخبيثـــة أو تغييراتـــه المـــاكرة الـــتي يجريهـــا في تركيبتـــه الجينيـــة يـــستطيع أن يـــراوغ الآليـات الدفاعيـة للجـسم الهادفـة إلى الـتخلص مـن الخلايـا المـصابة بالعـدوى وأن يـشتت شملـها. ونتيجـة لـذلك فإنـه يـتمكن مـن البقـاء والاسـتمرار رغـم الهجمـات الـشرسة الـتي يقـوم بهـا جهـاز المناعـة، وهنـا أيـــضا نجـــد الفـــيروس الإيرانـــي يقـــوم بتغـــييرات وتحوارات ماكرة ومستمرة.

فـالملاحظ في هـذه المرحلـة تراجـع خطـاب الممانعـة بـشكل كـبير في الإعـلام الممانعـاتي خاصـة بعـد أن

نــأت حركــة حمــاس بنفـسها عــن النظــام الــسوري حيــث تــسببت زيــارة إسماعيــل هنيــة لطهــران في ذكــرى الثــورة وبعــض التــصريحات لخالــد مــشعل وغــيره مــن القيــادات بــردود أفعــال اســتهجنت موقــف حمــاس. ليرد هنيــة مــن الأزهــر مــصرحا بتأييــده لحقوق ومطالب الشعب السوري.

كمــا تراجــع أيــضا خطــاب التقريــب الــذي وظفتــه إيــران مــن خــلال مــؤتمرات التقريــب بــين المــذاهب بالعمــل علــى نــشر التــشيع في الــدول العربيــة الــسنية عــبر تلــك المنــابر الــتي تأكــد للطــرف الــسني عــدم جدية الطــرف الــشيعي فيهــا وتــبين لــه ســوء نيــة الــشيعة مــن خــلال ردة الفعــل الــشيعية غــير الأخلاقيــة تجــاه الــشيخ يوســف القرضــاوي بعــدما حــذر طهــران مــن نــشاطها التــشييعي لأهــل الــسنة والجماعــة، والــذي حــدا بــشيخ الأزهــر مــؤخراً أن يعلــن اســتياءه مــن تجاهــل المراجــع الــشيعية مراســلاته العديــدة بخــصوص طلــب إصــــدار فتــــاوى واضــــحة وصــــريحة تحــــرم ســــب الصحابة، دون أن يتلقى منهم أي جواب.

وبعــد نجــاح الثــورات العربيــة تحــور الفــيروس الإيرانــي مــن خــلال تحريــك خلايــاه لتــستغل الانفتــاح (الــديمقراطي) لتخــرج وتنــشط في العلــن مــن منطلــق حريــة الاعتقــاد والتــستر خلــف حقــوق الإنــسان واضــطهاد الأقليــات إذا مــا اعــترض أحــدهم علــى نــشاطها خاصــة الــسلفيون الــذين وقفــوا لهــم بالمرصــاد، واتهــامهم بــالتطرف ومحاولــة تأليــب الــرأي العــام الدولي ضدهم.

ففــي مــصر بعــد محاولــة تأســيس حــزب شــيعي أعلــن المتــشيعون عــن تأسيــسهم عــشرات الحــسينيات ردا علــى غلــق الحــسينية الأولى، كمــا عملــت طهــران علــى عقــد مــؤتمرات تحــت شــعار الــصحوة الإســلامية بعــد نجــاح ثــورة ٢٥ ينــاير في مــصر محاولــة منهــا لركــوب الثــورات وتوجيههــا لخدمــة مــصالحها، ورغــم وضــوح الأهــداف مــن اليــوم الأول إلا أن بعــض الإســلاميين شــاركوا في ذلــك المــؤتمر وانــساقوا وراء الدعايــة الإيرانيــة، فــضلا عــن اســتخدام المــدخل الاقتــصادي والاســتثمارات المؤدلجــة ذات الأبعــاد التبشيرية في إفريقيا ومؤخرا في مصر أيضا.

وفي ســياق آخــر أخطــأ الكــثيرون عنــدما هللــوا لمرحلــة الــرئيس الإيرانــي الــسابق محمــد خــاتمي الإصــلاحية باعتبارهــا مرحلــة جديــدة في العلاقــات العربيــة الإيرانيــة وتراجعــا للخطــر الإيرانــي، حيــث اســتمرت خلايــا الفــيروس في التمــدد والانتــشار، ودائمــا ســبب الإشــكال هــو في عــدم معرفــة مكونــات الفــيروس وآليــات عملــه، لأنــه في تلــك الفــترة نــشطت جــدا حركــة تقويــة بنيتــه الداخليــة وتجديــد خلايــاه النــشطة ممثلــة في الحــرس الثــوري حيــث واصلــت أداء مهامها الطبيعية.

هــذا التحــول الخــارجي كــان مخادعــاً - خاصــة أن هنــاك شــبه انفــصال بــين خلايــا الفــيروس - إذ في المرحلــة الإصــلاحية تمكــن حــزب الله مــن التمــدد والتغلغــل في الخفــاء، بــسبب أن الأنظــار كانــت تتركز فقط على طهران وما يجري فيها.

ولمــا رفــض المحــافظون مــشروع خــاتمي الإصــلاحي بمختلــف الوســائل، عــادت نفــس المحــددات الــسابقة للظهــور في المرحلــة النجاديــة مــن جديــد ويظهــر معهــا التكامــل بــين الخلايــا في المــشهد الجديــد حيــث تقــدم نجاد وعلى يمينه ويساره بشار الأسد ونصر الله.

الخلايا السرطانية

تحــدثت بعــض الأبحــاث الــتي اهتمــت بدراســة أحــزاب الله الإيرانيــة عــن اندســاس مخــابرات الحــرس الثــوري بــين الطلبــة العــرب في قــم وغيرهــا مــن الحــوزات وانتقــاء الطلبــة المتحمــسين والمــستعدين للمــوت مــن أجــل فكــر الخمــيني ثــم تــدريبهم للقيــام بعمليــات إرهابيــة ضــد أوطــانهم، انتمــاء هــؤلاء إلى بلــدانهم ومعــرفتهم بــشعابها هــو مــا يــصعب مــن المــشكلة ويــضاعفها لأن العــدو أو الفــيروس مــن داخــل الجــسد، والأهــم مــن ذلــك أن الأمــر لا يقتــصر علــى حــالات فرديــة وإنمــا بوجــود أحــزاب وتنظيمــات ســرية وعلنيــة تقــوم بــنفس المهــام كمــا هــو حــال الحــوثيين في الــيمن وحــزب الله اللبنــاني ووجــود حكومــة بأكملــها وهــي حكومــة المالكي ومن ورائها التحالف الشيعي في العراق.

وحتــى نظــام الأســد كــان يقــوم بــنفس الــدور تحــت

غطاء وشعار الممانعة، وهذا ما يفسر التمسك الإيراني بدعمه نظرا لأهميته له لأن نهاية هذا النظام تعني نهاية المشروع الإيراني أو تراجعه على الأقل.

فعندما ندرك أن حزب الله يسيطر على الحكومة اللبنانية ويعطل جل مؤسسات الدولة فيها، وما تقوم به حكومة المالكي ونظام بشار الأسد من خدمة السياسة الإيرانية والتناغم معها، فهذا معناه أن طهران تسيطر بشكل أو آخر على صنع القرار في ثلاثة عواصم عربية وتسخرها لخدمة مصالحها، وهذا مؤشر على ما يمكن أن تذهب إليه القوى الشيعية في البلدان الأخرى التي هي وليدة الثورة الإيرانية مهما تحدثت عن مراجعات ورفضها لخيار العمل المسلح والعنيف وتبنيها العمل السياسي السلمي للحصول على مطالبها (حركة الصفار وحزب الله - الحجاز نموذجا) فإن نهجها السياسي لا يخرج عن إطار أيديولوجي عام تحدده ولاية الفقيه وذلك لأنه عند التأريخ لهذه الحركات فإننا نعود دائما لسنة ١٩٧٩ وما أحدثته الثورة من تغيرات فكرية جذرية عند الشيعة العرب.

توافق شيعي إيراني أو الحركة ذاتية الدفع

افتتاح أول حسينية في مصر - الذي أثار الكثير من الجدل داخليا - تلقاه الشيعة بفرحة وابتهاج ومن أشكال ذلك الابتهاج مطالبة الرادود الحسيني على قناة الأنوار الجمهور في مناسبة الاحتفال بمولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن يرددوا مقطع «مبروك علينا بالطريقة المصرية» داعيا لهم أن يذهبوا قريبا كلهم ليخدموا هناك جميعا.

من افتتح الحسينية في مصر هو رجل الدين الشيعي اللبناني المقيم في قم آية الله علي الكوراني، فالمولود الشيعي في مصر تم بأيدٍ لبنانية وبمباركة إيرانية وباحتفال واحتفاء خليجي، ويعكس هذا المربع محتوى المشروع الشيعي والوظائف التكاملية بين مختلف أضلعه دون الحاجة إلى تنسيق دائم ومستمر بينها (رغم وجوده) ولكن هذه الأضلع بعدما تشبعت بالعقائد والأفكار الخمينية وإيمانها بها أصبحت تقوم بمهامها بحركة ذاتية، كما هو الحال عندما يذهب هؤلاء بملء إرادتهم إلى المرجع أو لوكيله ليسلموه الخمس ويزيدون عليه دون أية رقابة.

فالقوى الشيعية العربية التي تحمل محددات أيديولوجية خمينية بمعنى أن تركيبتها متطابقة مع الفيروس الإيراني تتحرك إراديا دون أن يكون هناك دافع أو تحفيز إيراني، وحركة الدفع الذاتية تلك تأتي من ذلك الشعور بالانتماء الذي يجعل المتشيع في الجزائر أو تونس أو المغرب ينساق وراء الدعاية الإيرانية رغم تهافتها ويصدّق حسن نصر الله مغيبا لعقله ولوعيه فقط لأن مرجعيته الجديدة تقول بهذا الرأي.

الخلاصة

يعتبر الاتصال الجنسي غير المشروع السبب الرئيس لانتقال عدوى مرض الإيدز، ولم تنجح حتى الآن كل الجهود العلمية في إيجاد علاج ناجح لهذا المرض، وتبقى الوقاية هي أفضل وسيلة من كل الأمراض، وعلاج فيروس الممانعة الإيراني لا يخرج عن هذا المبدأ أيضا.

ربما لا يجانب الصواب السياسيون الإيرانيون عندما يصفون إسرائيل بالورم السرطاني فقد صدقوا في هذا وهم كاذبون، أو هو حق أريد به باطل، ونحن إذ نقر بأن إسرائيل ورم سرطاني في جسد الأمة فهذا مرض يدركه الجهاز المناعي للأمة لأنه لم يستطع حتى الآن اختراقه والدليل على ذلك فشل كل محاولات التطبيع مع العدو الصهيوني رغم وجود اتفاقات مع بعض الدول العربية، ومعرفة المرض أُولى مراحل علاجه، أما ما يجب معرفته إلى جانب الورم السرطاني الصهيوني فهو مرض الإيدز القادم من الشرق الذي اصطلحنا عليه مجازا بفيروس الممانعة الإيراني، الذي يبدو أن الثورات العربية أحدثت الصدمة الضرورية لاكتشاف مدى خطورته.

وعلاج هذا المرض وغيره من الأمراض على المستوى المتوسط والبعيد يكون بالوقاية منها، من

خلال:

أولاً: قطع العلاقات اللا شرعية بين الحركات الشيعية وإيران.

ثانياً: تفعيل الجهاز المناعي للأمة المتمثل في دينها وعقيدتها وتسمية الأشياء بأسمائها، وبالتدقيق في طبيعة النواة الصلبة للفيروس التي يجب التركيز عليها عند تشخيصه.

على عكس الاتجاهات التي انخدعت بشعار الممانعة وكانت تحاول درأ تهمة الإرهاب والتطرف عن نفسها بتجنب وتغييب البعد العقدي في تشريح الظواهر وتفسير وتحليل واقع الأمة، فالقفز فوق هذه الحقائق أدخل هؤلاء في متاهات المؤسف فيها أنها تسببت في تغليط شعوب الأمة لا نبالغ إذا قلنا أن ما يجري في سوريا اليوم من جرائم بحق شعبها يتحمل القوم جزءاً من المسؤولية فيه مع العلم أن هذا البلد كان وللمفارقة أيضا من أوائل وأكثر المتضررين من هذا المرض الخطير عندما ارتكب حافظ الأسد مجازر بحق عشرات الآلاف من السوريين بمباركة من نظام الخميني.

الغزو الشيعي يتسرب عبر ثورات العرب.. تونس نموذجا

معتز بالله محمد(*) –خاص بالراصد

من السر إلى العلن ومن التقية والاختفاء إلى الظهور والكشف عن معتقداتهم، هذا هو واقع الشيعة في تونس الذين طفوا على السطح وتحركوا خطوات للأمام بعد الثورة التونسية والإطاحة بنظام بن علي.

وقد ظهرت أكثر من جمعية خاصة بالتشيع تبدو في ظاهرها جمعيات ثقافية وفي باطنها شيعية عقائدية، وانتشرت المكتبات التي تروج للكتب الشيعية في أنحاء مختلفة من العاصمة تونس، وفي جنوب البلاد، وخاصة كتب محمد التيجاني السماوي أكبر الشخصيات الشيعية في تونس، والتي يتم طبعها في إيران ولبنان وتنشر في الوطن العربي، ليس هذا فحسب بل بات شيعة تونس يحتفلون بأعيادهم في وضح النهار.

فما أن سقط نظام بن علي وهبت رياح التغيير على تونس حتى بدا جليا أن خطرا جديدا يلوح في الأفق ويهدد البلد السني المالكي متمثلا في ظهور أعداد كبيرة من الشيعة الإثنى عشرية الذين استغلوا تلك الأجواء وبدأوا ليس فقط في الكشف عن أنفسهم بل والانتشار ومحاولة شرعنة وجودهم عبر تأسيس جمعيات «ثقافية» بشكل قانوني مثل جمعية المودة الثقافية التي تقدمت بطلب رسمي لوزارة الداخلية للحصول على ترخيص قانوني، إضافة لما يسمى بـ «الرابطة التونسية للتسامح» والتي يرأسها صلاح المصري حيث تسعى- بحسب ما جاء في صحيفة الضمير التونسية (١٢- ١- ٢٠١٢م) إلى تنفيذ مشروع امتداد شيعي إيراني في تونس بتمويل إيراني، وذلك باعتماد الدفاع عن القضية الفلسطينية وتجريم التطبيع مع العدو الصهيوني كتقيّة أو مطيّة لكسب الشرعية في تونس في مرحلة أولى ثم بعد ذلك الانطلاق في تنفيذ مشروع امتداد شيعي في تونس ومن ثم البدء بالمطالبة بالاعتراف بوجود الشيعة في تونس وحقوقهم المزعومة.

طهران وبن علي

لكن الحقيقة أن بداية المد الشيعي في تونس – بحسب مؤرخين- جاءت بعد نجاح ما تسمى بالثورة الإسلامية في إيران، وهي المرحلة التي يسميها عماد الدين الحمروني رئيس جمعية أهل البيت الثقافية وهي جمعية شيعية بمرحلة «التشيع الحديث»، ويقول: «لقد ظهر التشيع الحديث مع ظهور داعي الله الإمام السيد الخميني وأول ظهور كان في بداية الثمانينات تحت اسم «المسلمين السائرين على خط الإمام».

(*) كاتب مصري.

بيد أن تطوراً مهماً حدث بعد تولي الرئيس الهارب زين العابدين بن علي مقاليد الحكم في نوفمبر ١٩٨٧، حيث ارتبط بعلاقات وثيقة مع نظام الملالي في إيران، يقول أستاذ التاريخ بالجامعة التونسية محمد ضيف الله مؤكدا ذلك: «نظام بن علي ارتبط بعلاقات اقتصادية وثقافية متينة مع النظام الإيراني، حتى بلغ التبادل التجاري ١٢٠ مليون دولار وتكثفت زيارات رجال الثقافة والدين الإيرانيين إلى تونس، وللمحافظة على متانة تلك العلاقات تغاضى النظام القائم عن الغزو الشيعي».

ويواصل ضيف الله في حديث لموقع ميدل إيست أونلاين منشور بتاريخ ٢٦ - ٤- ٢٠١٢م: «كان من نتائج العلاقة المتينة بين نظام بن علي وطهران أن تأسست أول جمعية شيعية تونسية في أكتوبر ٢٠٠٣ وهي «جمعية أهل البيت الثقافية» التي تتبع المذهب الإثني عشري السائد في إيران، وقد طرحت على نفسها المساهمة في إحياء مدرسة آل البيت ونشر ثقافتهم».

ويؤكد أستاذ التاريخ بالجامعة التونسية أن «التشيع وَجد في تونس في عهد بن علي مجالا للنشاط دون أي مضايقة أو اعتراض، خاصة أن الإسلاميين السنيين وهم الطرف المؤهل أكثر من غيرهم لمناقشة الشيعة والسجال معهم، كانوا ملاحقين وممنوعين من الكلام».

«إيران قبلتنا»!

ولا يفوت شيعة تونس فرصة في إعلان ولائهم وبيعتهم لنظام الملالي في طهران والمرشد الأعلى للثورة الإيرانية، عبر جمعية «أهل البيت» التي يرأسها عماد الدّين الحمروني وتصدر بيانات تعبر عن مواقفهم، فيما يرفعون حسن نصر الله زعيم حزب الله اللبناني مقاما رفيعا لديهم، وقد جاء في أحد بيانات هذه الجمعية مؤخرا بحسب ما أفاده تقرير وكالة أهل البيت للأنباء (أبنا) ما نصه: «نتقدّم بأحر التّهاني وأرفع التّبريكات إلى ولي العصر الإمام الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله لنا فرجه وظهوره وإلى جدّه محمّد رسول الله وآله المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلى وليّ أمر المسلمين الإمام القائد السيّد عليّ الخامنئي دام ظلّه الشّريف وإلى علمائنا الربّانيين السّائرين على خط الإسلام المحمّدي الأصيل وإلى سيّد الأحرار وقائد المقاومة الإسلامية في لبنان حجّة الإسلام والمسلمين السيّد حسن نصر الله دامت بركاته وإلى أبناء أمّة حزب الله المجاهدين، وإلى شيعة أمير المؤمنين عليه السّلام وعامّة المسلمين والمستضعفين، بمناسبة ولادة بقيّة الله في أرضه أرواحنا لمقدمه فدى محمد بن الحسن العسكري صلوات الله عليه وعلى آبائه الطيّبين الطّاهرين».

الكتاب كأداة غزو

ولم تكن الجمعيات الشيعية وحدها التي روجت للمذهب الشيعي في تونس بل لعبت المكتبات دورا بارزا في هذا المضمار، فانتشر بعضها في العاصمة تونس، مروجة للأدبيات والمراجع الشيعية بأسعار رمزية، وقد تظاهر التونسيون يوم ٢٠- ١- ٢٠١٢م قبالة مكتبة يُعتقد بأنها تروّج بمعروضاتها من الكتب، للفكر الشيعي، وقد عبر الحاضرون عن احتجاجهم الشديد على ما تقوم به هذه المكتبة من نشر للكتب والمجلات الشيعية في صفوف التونسيين عن طريق بيعها بأسعار بخسة يُراد منها تسهيل انتشارها بين المواطنين، هذه المكتبة اسمها «الشاملة» وتقع في شارع فلسطين بحيّ لافايات على بعد بضعة أمتار من جامع الفتح، ومن بين الكتب التي تعرضها المكتبة: «تاريخ الإمام الثاني عشر» و«اعرف إمام زمانك المهدي المنتظر ومعالم آخر الزمان» و«قصة كربلاء وبضمنه قصة الانتقام والثأر» و«أصول التشيع» إضافة إلى الكثير من العناوين الأخرى، ومجلة «فقه أهل البيت» ومجلة «المنهاج» و«الحياة الطيبة»، وسط استغلال لمناخ الحرية السائد بعد الثورة وإلغاء التراخيص والقيود على كلّ ما يعيق استقدام الكتب أو المجلات إلى تونس. ولم تقتصر عملية نشر هذه الكتب على المكتبات، بل تخطتها لتصل إلى قارعات الطرق

واجهات المساجد.

وينشط المد الشيعي بشكل خاص في مدينة قابس جنوب العاصمة حيث يتوافد الشيعة على الحسينية الوحيدة الموجودة في تونس، وقد شهدت المدينة التي تضم التجمع الشيعي الأكبر بعد الثورة احتفالات علنية بأعياد ومناسبات شيعية لأول مرة، ففي نهاية العام الماضي ٢٠١١م شهدت القاعات العامة بقابس احتفالات كبيرة بعيد الغدير، كما أحيا الشيعة في عاشوراء ذكرى استشهاد الحسين باللطميات (ضرب الصدور).

وتجد في بعض الصحف التونسية أحياناً مقالات تروج وتمجد للتشيع ورموزه، مثل جريدة الصباح (عدد ٢٠١٢/٦/١) التي نشرت مقالاً احتل نصف صفحة في ذكرى وفاته ٢٨ !!

وتتضارب الأنباء حول العدد الحقيقي لشيعة تونس، ففي حين يقدر البعض أعدادهم بالمئات، يتوزعون على العاصمة تونس وقابس والمهدية وسوسة والقفصة، فإن الشيعة يتحدثون عن أرقام خيالية، فقد قال أبرز رموزهم الدكتور محمد التيجاني السماوي في تصريحات لوكالة «إباء» الشيعية للأنباء إن «عدد الملتحقين بالمذهب الشيعي في تونس يُعدّون بالآلاف».

وقد كذّبت تقارير صحفية تونسية السماوي في عرضه لهذا الرقم، لكنها أكدت أن أجواء ما بعد الثورة وحرية عمل الشيعة الذين طالبوا رسميا باقامة الحسينيات قد يضاعف خلال وقت قصير العدد الحالي.

هذا التوجه عبّر عنه السماوي نفسه بقوله متحدثا عن شيعة تونس إنّ «السلطة تترك لهم حرية العقيدة، كما إنهم لا يتدخلون في الشأن السياسي، ولايوجد في تونس أي تعصب سياسي أو ديني، لأن الدولة أعطت الحرية لكل إنسان بأن يكون شيعيا أو سنيا أو حتى شيوعيّا».

وبوجه عام يقول شيعة تونس إنهم اعتمدوا على التقية في فترات سابقة خشية تعرضهم للملاحقة والاضطهاد غير أنهم اليوم بعد الثورة أصبحوا يشعرون بحرية أكثر وحق في التعبير عن أنفسهم وأدبياتهم وما يعتقدون أنه صحيح.

يُذكر أن عشرات التقارير الصحفية قد صنفت تونس ضمن البلدان التي تشهد «حركة تشييع» سريعة وواضحة المعالم. إلا أن تلك التقارير والتحذيرات دائما يتجاهلها الإعلام الرسمي والخطاب الحكومي اللذان يؤكدان باستمرار أنّ الدولة لا تتدخّل في معتقدات وأديان المواطنين التونسيين المعروفين بتسامحهم واعتدالهم.

ناقوس الخطر

وأمام هذه الحقائق الخطيرة بما تحمله من تهديدات، ارتفعت خلال الفترة الأخيرة أصوات التونسيين ضد المد الشيعي الإيراني في بلدهم، وهو ما تمخض عنه تأسيس جمعية تحمل اسم «الرابطة التونسية لمناهضة المد الشيعي في تونس» وتهدف الجمعية التي أسسها المحامي التونسي أحمد بن حسانة، مع مجموعة من المواطنين، إلى الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية السنية المالكية للبلاد.

وقد نقلت صحيفة «الصباح» التونسية عن مؤسس الرابطة قوله إنها جمعية ثقافية «تناضل من أجل الدفاع عن هوية تونس وتسهم في التصدي لكل تدخل أجنبي في عقيدة الشعب التونسي بشكل حضاري ينبذ العنف والتطرف ويقوم على احترام سيادة القانون».

وكشف المحامي حسانة الذي كان قد تقدم بطلب إلى وزير الداخلية برفض الترخيص لجمعية «المودة الشيعية» عن أن إيران تقوم برصد أموال ضخمة وتجنيد عملاء لنشر التشيع الجعفري في البلدان العربية السنية ومنها تونس معربا عن اعتقاده بأن هذا المخطط يهدف إلى تكوين خلايا نائمة ذات ولاء لإيران ولمراجع شيعية، تشتغل حسب أجندات عنصرية تنشرها في الدول السنية بغية تحريكها متى أرادت للضغط على الأنظمة.

تونس والتشيع

ويجمع المؤرخون على أن المذهب الشيعي عرفته

تونس مع تأسيس الدولة الفاطمية سنة ٨٩٩م ثم جاء تأسيس المهدية (تقع مدينة المهدية على بعد ٢٥٠ كلم جنوب شرق العاصمة تونس) سنة ٩١٠م على يد عبيد الله المهدي حين انطلقت أساطيله وجيوشه لبسط نفوذها على كل بلاد المغرب وجزر المتوسط وغدت المهدية العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية لبلاد المغرب قاطبة، على حد قول أستاذ الحضارة في الجامعة التونسية ناجي جلول. غير أن المؤرخين يؤكدون على أن ظاهرة «التشيع» في المجتمع التونسي تنامت مع بداية الثورة الإيرانية وتأثير حزب الله اللبناني عبر قناة «المنار» الفضائية.

ويسخر الإعلامي التونسي الناصر الخشيني الحاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية من كلية الشريعة وأصول الدين في تونس من القائلين بأن الانتشار الحالي للتشيع في تونس إنما هو عودة إلى الجذور وأن التشيع هو جزء من إرث تونس، فيقول في حديث لصحيفة «الأسبوعي» التونسية: «تونس استقرت منذ القرون الأولى على موقف أهل السنة والجماعة وبالتحديد مذهب أهل المدينة الإمام مالك بن أنس ولم يقطع هذا التوجه سوى إبان فترة الحكم الفاطمي حيث كانت السلطات الرسمية تتبنى موقف الشيعة الإسماعيلية في حين أن الجماهير تتبنى سرا مذهب الإمام مالك وقد خرج الصنهاجيون الذين تركهم الفاطميون حكاما على البلاد بدلهم لما انتقلوا الى مصر عن طاعة الفاطميين وعادوا بالبلاد إلى المذهب السني المالكي واستقرت تونس على ذلك فلا مجال للحديث عن أن التشيع هو عودة للجذور بل إنه وافد جديد أتت به إيران ثورة الخميني».

ويتوقع الخشيني مخاطر جسيمة من إدخال التشيع إلى تونس باعتبار أن ذلك سيدخل تركيبا جديدا على نسيجها المتجانس مذهبيا ودينيا ويخلط الأوراق ويجعل إيران تدس أنفها في «شؤوننا» بحجة حماية الأقلية الشيعية في تونس أو شمال إفريقيا معتبرا أن انتشار ما يسمى بالمد الشيعي في تونس سوف يدخل المنطقة في دوامة من العنف والاحتقان الطائفي الذي يؤدي حتما إلى انعدام الأمن وزعزعة الاستقرار.

موسوعة مصطلحات الشيعة (٢٤)
(حرف النون)

هيثم الكسواني(*) -خاص بالراصد

الناحية المقدسة

تسمية أطلقها الشيعة على مهديهم المنتظر، وإمامهم الثاني عشر، محمد بن الحسن العسكري. كما أطلقوا على إحدى زيارات قبر الحسين في كربلاء اسم «زيارة الناحية المقدسة»، قائلين إن هذه الزيارة لقبر الحسين مرويّة عن المهدي.

الناووسية

رفض قسمٌ من الشيعة الاعتراف بوفاة جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ)، الذي يعتبرونه سادس أئمتهم المعصومين، وقد عُرفوا بالناووسية، نسبة إلى عجلان بن ناووس، وهو من أهل البصرة، وفيهم يقول الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»: «وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنصِّ الباقر عليه، وزعموا أنه لم يمت، وأنه المهدي المنتظر».

وقد نسب الشيعة، كما في فرق الشيعة للنوبختي، إلى جعفر الصادق عدة روايات ينكر فيها موتَه، ويدّعي أنه المهدي المنتظر، منها: «إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فإني أنا صاحبكم». ونسبوا إليه أيضاً القول: «إن جاءكم من يخبركم عني أنه مرّضني وغسلني وكفنني فلا تصدقوه، فإني أنا صاحبكم صاحب السيف».

ويبين الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» أن القول بمهدوية جعفر الصادق برز بعد وفاة والده محمد الباقر، وبعد هزيمة محمد بن عبدالله، ذي النفس الزكية

(*) باحث أردني.

(انظر: النفس الزكية) من قبل العباسيين، كما يبين الكاتب أن ممن برز من الناووسية: أبان بن عثمان الأحمر، الذي عدّه الكشي، صاحب كتاب اختيار معرفة الرجال، من «أصحاب الإجماع» أي من أقرب المقربين إلى جعفر الصادق.

النجف

إحدى المدن التي يقدّسها الشيعة لوجود مرقد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي يعتبره الشيعة الإثنا عشرية أول أئمتهم المعصومين، وتقع جنوب غرب العاصمة العراقية بغداد، وقد نشأت بجوار الكوفة التي اتخذها عليٌّ عاصمة له. ويَذكر الشيعة اسمَ النجف مقرونا بلفظة (الأشرف) وهي صيغة تفضيل، ما يوحي بتفضيل هذه المدينة على سائر المدن والأماكن.

ويبين نور الدين الشاهرودي، في كتابه «المرجعية الدينية ومراجع الإمامية» أن انتقال شيخ الشيعة أبي جعفر الطوسي، الملقب بشيخ الطائفة، للإقامة في النجف في منتصف القرن الخامس الهجري، قادما من بغداد، هو الذي نقلها من أرض جرداء إلى أن تكون أهم مدن الشيعة على الإطلاق، وأهم مراكز العلم الإمامي الإثنى عشري، يقول الشاهرودي: «وعندما قرّر الشيخ الطوسي الإقامة في هذه الأرض الجرداء والخالية من مظاهر العمران، وبوصفه الزعيم الروحي الأول للشيعة، كان لا بد أن تتمصّر، وأن تصير مقصداً لجميع المسلمين الشيعة ومرجعا لحقوقهم المالية من جميع أقطار الأرض. ومن منطلق كونه المعلّم الأول للفقه الإمامي، فإن تواجد الشيخ الطوسي على أرض النجف قد خلق عاملاً حيويا في اجتذاب العلماء وطلاّب العلم لهذه الأرض المقدسة.. وهكذا استقرت الزعامة الدينية والمركزية العلمية في النجف الأشرف بفضل رحيل الشيخ الطوسي إليها، وظل بيته ماسكا بزمام هذه الزعامة لمدة قرن تقريبا..».

النجف الصغرى

تسمية أطلقها الشيعة على مدينة القطيف، الواقعة في المنطقة الشرقية من السعودية، وعزوا هذه التسمية لكثرة ما كان بالقطيف من مدارس لتعليم مذهب الشيعة.

نصير الملة

لقب أطلقه الشيعة على نصير الدين الطوسي، أحد علماء الشيعة البارزين في القرن السابع الهجري (ت ٦٧٢هـ). وقد قال فيه علامة الشيعة الحِلِّي: «كان هذا الشيخ أفضل أهل زمانه في العلوم العقلية والنقلية». وقد اشتُهر في التاريخ أن نصير الدين الطوسي عمل مع هولاكو، زعيم المغول الذين أسقطوا دولة الخلافة العباسية في سنة ٦٥٦هـ، وقبل ذلك عمل مع الإسماعيليين الحشاشين الذين كانوا يتخذون من قلعة «ألموت» مقرا لهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة»:

«.. أن هذا الرجل اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الإسماعيلية بالألموت، ثم لمّا قدم الترك المشركون إلى بلاد المسلمين، وجاءوا إلى بغداد دار الخلافة، كان هذا منجّما مشيرا لملك الترك المشركين هولاكو، أشار عليه بقتل الخليفة، وقتل أهل العلم والدين، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من البخشية السحرة وأمثالهم، ..

ومن المشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الإسلام ومحرّماته، لا يحافظون على الصلوات، ولا ينزعون عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات..

وبالجملة.. فأمر هذا الطوسي وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يُعرف ويوصف، ومع هذا فقد قيل: إنه كان آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس، ويشتغل بتفسير البغوي والفقه ونحو ذلك، فإن كان قد تاب من الإلحاد فالله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات..

النصيرية

فرقة من غلاة الشيعة، تُنسب إلى محمد بن نصير (ت ٢٧٠هـ)، الذي كان من أقطاب الشيعة في البصرة، ويُعرف أتباعها باسم النصيريين والعلويين، وينتشرون بشكل خاص في سوريا، حيث تنتمي إليهم أسرة الأسد الحاكمة في سوريا، وينتشرون كذلك في تركيا ولبنان.

ويبين الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» أن الحركة النصيرية نشأت حول الإمام علي بن محمد الهادي (٢١٢ – ٢٥٤هـ)، عاشر الأئمة المعصومين عند الشيعة الإثنى عشرية، حيث كان محمد بن نصير «قد رفع الإمام الهادي إلى درجة الألوهية، وادّعى لنفسه مرتبة النبوة والرسالة من قبل الإمام، وكان يقول بالتناسخ. وقد التفّ هذا الغالي (النصيري) بعد وفاة الإمام الهادي حول ابنه الإمام الحسن العسكري، وكان بعد وفاته من أبرز القائلين بوجود ولد له في السر، هو (محمد بن الحسن العسكري)، وقد ادّعى البابية والنيابة الخاصة عنه، ثم ادّعى النبوة وأورثها إلى عدد من أصحابه».

وبحسب د. محمد أحمد الخطيب في كتابه: «الحركات الباطنية في العالم الإسلامي» فإن النصيريين يؤلهون عليًا، ويقولون: محمد متصل بعلي ليلاً، منفصل عنه نهارًا، ويقولون: علي خلق محمدًا، ومحمد خلق سلمان الفارسي.

وبحسب أسامة شحادة وهيثم الكسواني في كتابهما «التجمعات الشيعية في بلاد الشام» فإن الشيعة الإثنى عشرية، كانوا يعتبرون النصيريين كفارا، ولم يكونوا يعدونهم من الشيعة، إلاّ أن اتجاها برز مؤخرا من قبل النصيريين للتقرب من الإثنى عشرية، والتوسل بما لدى الفرقتين من مشتركات، للخروج من العزلة والانغلاق، وممن تبنى هذا الاتجاه: الشيخ العلوي عبد الرحمن الخيّر (١٩٠٣- ١٩٨٢م).

وفي المقابل نشط بعض شيوخ الشيعة الإثنى عشرية لنشر التشيع في أوساط النصيريين، وحملوا فكرة إعادة الفرع (العلوي النصيري) إلى المذهب الأم (الشيعي الإثنى عشرية)، ومن هؤلاء: الإيراني حسن مهدي الشيرازي (١٩٣٥ – ١٩٨٠م) الذي تواصل مع العلويين في سوريا بتكليف من شقيقه محمد الشيرازي، وأصدر فتوى تقول إن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان، وإن كل شيعي هو علوي العقيدة، وكل علوي شيعي المذهب.

ويلاحظ الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أن الشيعة المعاصرين يحاولون احتضان كلّ فرقة تنتسب إلى التشيع، حتى لو كانت من الفرق التي عدّها القدماء منهم من الكفرة والغلاة والخارجين على الإسلام كالنصيرية، إذ تكرر في كلام المعاصرين، كمحمد حسين كاشف الغطاء في كتابه «أصل الشيعة وأصولها» أن جميع الفرق الغالية قد بادت اليوم، ولم يعد لها وجود.

نعثل

لقب أطلقه الشيعة على الخليفة الثالث، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وقد جاء في تفسير العياشي، وبحار الأنوار للمجلسي أن أحد أئمة الشيعة سئل: مَن أعداء الله؟ فأجاب: الأوثان الأربعة.. أبو الفصيل، ورمع، ونعثل، ومعاوية..

وقد قال المجلسي في بيانه لهذه المصطلحات: «أبو الفصيل أبو بكر، لأن الفصيل والبكر متقاربان في المعنى، ورمع مقلوب عمر، ونعثل هو عثمان».

وعن منهج الشيعة في إطلاق هذه الألقاب على الصحابة، يقول الشيخ الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة»: «إن ما كتبه شيوخ الشيعة في ظل الدولة الصفوية كان فيه من التكفير لأفضل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، صريحاً ومكشوفاً، وما كتبه أوائل الشيعة في عصر الكليني وما بعده كان بلغة الرمز والإشارة، وقد كشف أقنعة هذه الرموز شيوخ الشيعة المتأخرون حينما ارتفعت التقية إلى حد ما وظهرت الإثنا عشرية على حقيقتها. فمِن

مصطلحاتهم الخاصة: تسمية الشيخين بالفصيل ورمع، وذلك لأنهم لا يجرؤون على التصريح بالاسم في إبان قوة دولة الإسلام».

النفس الزكية

لقب اشتهر به محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو أحد أعلام أهل البيت في زمانه (ت ١٤٥هـ)، وكان أبوه قد سمّاه محمّدا، وتنبّأ بأنه سيكون المهدي المنتظر الذي بشّر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخبر بأن اسمه يوافق اسمه، واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أي محمد بن عبد الله.

وقد ثار ذو النفس الزكية على العباسيين زمن خليفتهم أبي جعفر المنصور، بسبب استئثارهم بالحكم رغم مساندة العلويين لهم في الإطاحة بالأمويين، واستطاع النفس الزكية أن يسيطر على الحجاز واليمن، لكن العباسيين تمكنوا في نهاية الأمر من إخماد ثورته وقتله.

ويبين الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» أن قسما من الشيعة اعتبروا أن ذا النفس الزكية هو المهدي المنتظر، لذا فإنهم أصيبوا بالصدمة، ولم يتحملوا نبأ هزيمته، ولم يصدقوا بمقتل (المهدي) الذي كانوا ينتظرون خروجه منذ فترة طويلة، فقالوا: إنه حي لم يمت، ولم يُقتل، وإنه مقيم بجبل العلمية، بين مكة ونجد.

ويبين الكاتب أيضا أن نظرية المهدوية في ذلك الوقت لم تكن محصورة في نسل الحسين، بل كانت تجيزها في البيتين (الحسني والحسيني) على حد سواء، إذ أن النفس الزكية هو من نسل الحسن بن علي، وليس من نسل شقيقه الحسين.

نقيب الطالبيين

لقب اشتهر به أبو القاسم، علي بن أبي أحمد الحسين، المعروف بالشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦هـ). من مؤلفاته: الشافي في الإمامة، الذريعة في أصول الفقه، تنزيه الأنبياء والأئمة، شرح مسائل الخلاف..

وينقل نور الدين الشاهرودي، في كتابه «المرجعية الدينية ومراجع الإمامية» عن د. عبد الرزاق محيي الدين أن المرتضى يعتبر مجدد المذهب الشيعي الإمامي وباعثه في القرن الرابع الهجري، إضافة إلى أنه كان في طليعة الشيعة الذين فسروا القرآن بالرأي، حيث كان أغلبهم قبل ذلك يفسرونه بالأثر.

النّواصِب

تسمية يطلقها الشيعة على أهل السنة، ومفردها: ناصِبي، أي الذين ناصبوا العداء لأهل البيت. يقول حسين بن الشيخ آل عصفور الدرازي البحراني في كتابه «المحاسن النفسانية»: «بل أخبارهم عليهم السلام تنادي بأن الناصب هو ما يقال عندهم سُنيا».

وقد روى محمد بن بابويه القمي، الملقب عند الشيعة بالصدوق، في كتابه «علل الشرائع» عن داود بن فرقد قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام (أي الإمام الصادق) ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، ولكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا، أو تغرقه في ماء لكي لا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه». كما يطلق الشيعة على أهل السنة تسميات أخرى مثل المخالفين والعامّة.

النوربخشية

طريقة جمعت بين التشيع والتصوف، وتُنسب إلى محمد نوربخش القوهستاني (٧٩٥ - ٨٦٩هـ)، المُلقّب بواهب الأنوار، وقد عدّه الشيخ إحسان إلهي ظهير، رحمه الله، في كتابه (الشيعة) من الصوفية أصحاب وحدة الوجود.

وادّعى نوربخش أنه المهدي المنتظر، مستغلاً موافقة اسمه لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذ بروايات أهل السنة في المهدي، ويبين الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أنه رغم ذلك، فإن نوربخش كان يقول

بالأئمة الإثنى عشر، ولهذا اكتفى في يوم بيعته بالمهدية بقبول اثني عشر شخصا تيمّنا بعدد الأئمة، وعندما قدِم العراق، زار العتبات التي يقدسها الشيعة.

ويبين الشيخ محمود عبدالرؤوف القاسم، رحمه الله، في كتابه «الكشف عن حقيقة الصوفية» أن أكثر أتباع نوربخش كانوا من السنة الذين تشيعوا انقيادا وراء شيخهم، وقد انتشرت طريقته في وسط إيران وجنوبها، وبعض الأجزاء الشمالية منها.

النيروز

من أعياد الفرس، وقد جاء في كتب الشيعة عدة روايات في تعظيمه، منها ما نسبوه إلى جعفر الصادق أنه قال، كما في وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للحر العاملي: «إذا كان يوم النيروز فاغْتسل، والْبس أنظف ثيابك، وتطيب بأطيب طيبك، وتكون ذلك اليوم صائما». وقد وضع العاملي في كتابه باباً بعنوان: «استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب». كما أورد شيخهم المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» روايات بعنوان: (باب عمل يوم النيروز).

ويبين الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أن تعظيم الشيعة لعيد النيروز كما يعظّمه المجوس والفرس، إضافة إلى غلوّهم في سلمان الفارسي، رضي الله عنه، وتعظيمهم لأبي لؤلؤة المجوسي، قاتل الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وغير ذلك، جعل بعض العلماء والباحثين يقولون بأن أصل التشيع فارسي.

إيران والنفوذ المتصاعد في (القرن الإفريقي).. في ظل الغياب العربي

د. نجلاء مرعي(*) – مختارات إيرانية ٢٠١٢/٤

يأتي التوجه الإيراني نحو إفريقيا - وبخاصة في منطقة القرن الإفريقي- في سياق التحول في أهداف السياسة الخارجية الإيرانية، فهي محاولة من مجرد مواجهة الظروف المحلية الطارئة، وتلبية الاحتياجات في ظل معطيات الوضع القائم، إلى محاولة للتعرف على المناخ الدولي المحيط، وتهيئته بما يحقق أكبر قدر ممكن من المصالح الإيرانية؛ والتي في مقدمتها: الحيلولة دون ترك الساحة للهيمنة الأمريكية.

ويتناغم هذا التوجه مع التكالب والتنافس بين القوى الدولية؛ ولا سيما الإقليمية بين إيران وإسرائيل في منطقة القرن الإفريقي؛ والذي انتقل إلى حلقة جديدة وهي: الصراع فيما بين هذه القوى عليها، ذلك أنه ينطوي على عنصر النفط وأولوية تأمين الإمدادات من الطاقة، والتي تعتبر واحداً من الاعتبارات الرئيسية التي تصوغ بها الدول سياساتها وعلاقاتها الخارجية.

وهو ما يشكل تهديداً مباشراً للأمن القومي والعربي في صياغاته الكلية؛ خاصة في ظل التطورات المتلاحقة على أطراف النظام الإقليمي العربي في امتداداته الإفريقية، والتي تبشر بإعادة رسم خريطة التوازن الإقليمي في المنطقة، وربما يكون ذلك في غير مصلحة النظام الإقليمي العربي، وينذر بوجود تهديدات خطيرة لمنظومة الأمن القومي العربي.

وتحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على تأثير تصاعد النفوذ الإيراني في ظل التدافع الدولي والإقليمي نحو منطقة القرن الإفريقي على منظومة الأمن القومي العربي، وذلك من خلال المحاور التالية:

أولاً: (القرن الإفريقي) بين المصالح الإيرانية والاهتمام العالمي:

يكتسب القرن الإفريقي أهميته الاستراتيجية من كون دوله تطل على المحيط الهندي من ناحية، وتتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر حيث مضيق باب المندب من ناحية أخرى، ومن ثم فإن دوله تتحكم في طريق التجارة العالمي؛ خاصة تجارة النفط القادمة من دول الخليج والمتوجهة إلى أوروبا

(*) باحثة في العلوم السياسية.

والولايات المتحدة.

كما أنها تُعد ممراً مهماً لأي تحركات عسكرية قادمة من أوروبا أو الولايات المتحدة في اتجاه منطقة الخليج.

ولا يقتصر أهمية القرن الإفريقي على اعتبارات الموقع فحسب وإنما تتعداها للموارد الطبيعية؛ خاصة البترول، وهو ما يعد أهم أسباب رعاية واشنطن لمفاوضات السلام في السودان.

بالإضافة إلى قربه من جزيرة العرب بكل خصائصها الثقافية ومكنوناتها الاقتصادية، ويوجد به جزر عديدة ذات أهمية استراتيجية من الناحية العسكرية والأمنية[1].

وتتسم مصالح القوى الإقليمية في المنطقة بالتشابك والتعقد بين الأطراف المكونة للإقليم من ناحية، والقوى الخارجية سواء الإقليمية أو الدولية من ناحية أخرى، ولكنها تتجه في مجملها نحو تحفيز الصراع واستمراره؛ لا سيما في الصومال والسودان، بل وتعتبر المحدد الرئيسي لمستقبل التفاعلات في الإقليم، إذ تتقاطع المصالح الإقليمية في جانب منها مع بعضها البعض، وتتناقضها في جوانب أخرى، في إشارة واضحة إلى ما يمكن اعتباره خريطة التحالفات الإقليمية؛ والتي قد تتفق أو تتناقض مع مصالح القوى الكبرى في المنطقة، إذ يشير الواقع الاستراتيجي إلى تأثير عملية المصالح والإرادة الإقليمية في مسيرة التفاعلات في منطقة القرن الإفريقي؛ والتي لا تتوافق مع توجهات المصالحة والاستقرار الذي يستند إليه الدور الدولي في منطقة القرن الإفريقي.

وقد حولت الأهمية الاستراتيجية لمنطقة القرن الإفريقي إلى منطقة نفوذ غربي جعلتها دائماً محل تنافس بين الدول الكبرى في مرحلة الحرب الباردة.

ومع بداية النظام العالمي الجديد في التسعينات من القرن الماضي تصاعدت حدة هذه المنافسة وتعددت أطرافها، ولكنها ظلت ملعباً للدول الكبرى؛ وبخاصة الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة، حيث سعت القوى الكبرى المسيطرة في النظام الدولي إلى التدافع عليه من أجل كسب مناطق نفوذ لها هناك؛ إما سلماً من خلال العلاقات الوثيقة مع نظم الحكم في المنطقة، أو كرهاً من خلال استخدام القوة المادية[2].

وفي سياق هذا التنافس تأتي إيران التي أبدت اهتماماً متزايداً بدول القرن الإفريقي في الآونة الأخيرة، وذلك في سياق فتح المزيد من دوائر التعاون مع كافة التجمعات؛ سواء كانت دولية أو إفريقية أو عربية وخليجية، ويسير هذا النشاط بالتوازي مع الضغوط الغربية والأمريكية بسبب برنامجها النووي، وتهدف من هذه التحركات إلى كسب مزيد من التأييد الدولي لمواقفها، وإرسال رسالة إلى الدوائر الغربية تحديداً مفادها: أن لديها القدرة على الانفتاح؛ لتغيير الصورة النمطية عنها، والتي تصفها دائماً بالتشدد.

والواقع؛ تسعى استراتيجية إيران في شرق إفريقيا والقرن الإفريقي والدول المجاورة - والتي تقع على البحر الأحمر- إلى تحقيق الأهداف التالية:

أ- ترسيخ نفوذها السياسي كجزء من المحور المعادي للغرب الذي تسعى إلى إنشائه في دول العالم الثالث، فهي تحاول أن تنمو لتقلل من النفوذ الغربي؛ وبخاصة الأمريكي.

ب- تحقيق مصالحها الاقتصادية في ضوء

---

(١) د. جلال الدين محمد صالح، «القرن الإفريقي: أهميته الاستراجية وصراعته الداخلية»، قراءات إفريقية، ع١، أكتوبر ٢٠٠٤، (ص ١٠٠- ١٠١).

(٢) لمزيد من التفاصيل عن مصالح القوى الإقليمية والدولية في القرن الإفريقي يمكن الرجوع إلى: نجلاء محمد مرعي، «تأثير البترول في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إفريقيا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠١١، دراسة حالية: السودان»، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة- كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠١١ (ص١٢٢- ١٢٩).

العقوبات التي تضر إيران في القارات الأخرى.

ت- تصدير الثورة الإسلامية من خلال المؤسسات الإيرانية أو المراكز الثقافية التي تنشر الفكر الشيعي، وتعزيز نفوذها من خلال نشر جهودها في البلاد الإسلامية والمجتمعات الإسلامية التي تعيش في شرق إفريقيا.

ث- صنع ممرات بحرية وبرية تقود إلى الميادين التنافسية ذات طابع المواجهة لإيران في الشرق الأوسط، والتي قد تستخدم لتهريب الأسلحة والعمليات الإرهابية، والدولة المهمة لإيران في هذا الشأن هي: السودان.

جـ- تأسيس وجود إيراني مادي على الأرض، وبحري فعال في البحر الأحمر - المهم من الناحية الاستراتيجية لإيران- يقود لقناة السويس، لذا تعمل على تقوية علاقاتها بالدول الإفريقية التي تطل على البحر الأحمر، من بينها: السودان وإريتريا وجيبوتي من ناحية، ومن ناحية أخرى تسعى لتقوية علاقاتها البحرية باليمن، ففي يونيو ٢٠٠٩ عقدت اتفاقية تسمح للأساطيل الإيرانية أن ترسو في ميناء عدن كجزء من مهمة إيران في محاربة القراصنة الصوماليين، ومن المتوقع أن تنضم للبوارج الحربية الست الإيرانية المستقرة في المياه الصومالية لحماية السفن التجارية الإيرانية[١].

ثانياً: الطموحات الإيرانية... ومواجهة التدافع الدولي نحو (القرن الإفريقي):

تتركز الطموحات الإيرانية في منطقة القرن الإفريقي على ثلاثة محاور:

١- المحور الدبلوماسي:

من أجل عدم عزلها والتصويت ضدها في المنظمات الدولية، ومحاولة إنشاء نظام عالمي بديل مع القوى المعادية للولايات ا لمتحدة، حيث غدت تتبنى عدداً من الأهداف والأدوار في سياستها الخارجية؛ لجهة الحفاظ على سيادتها، وتأمين أمنها في مواجهة التحديات الخارجية.

ومن منطلق القناعة لحقيقة أنها أصبحت قوة إقليمية لا يستهان بها تسعى للقيام بدور المدفع عن العقيدة من ناحية، وتقود المعسكر الرافض لهيمنة القوى العظمى، وتنشط في إقليمها وجوارها الجغرافي لإثبات وجودها من ناحية أخرى.

وفي كل الحالات فقد كانت تعتبر نفسها قاعدة الانطلاق للثورة الإسلامية، كما تشعبت المصالح الإيرانية وأبعاد تداخلها، وربما تصادمها مع مصالح العديد من القوى الأخرى، لذا قامت بتعزيز العلاقات الإيرانية مع بعض الدول الإفريقية المعادية للوجود الأمريكي في إفريقيا، وكسب تأييد دول القرن للمواقف الإيرانية؛ لا سيما أحقيتها في امتلاك تكنولوجيا نووية سلمية، ومسعى للعب دور يتجاوز الإطار القومي بل الإقليمي، الأمر الذي يساعدها على امتلاك العديد من الأدوات التي تتيح لها المساومة في مواجهة الضغوط الدولية المتزايدة والملحة، عبر بناء عدة محاور تؤثر في إعادة تشكيل توازنات القوى، ومحاولة للخروج من الحصار المفروض عليها[٢].

٢- المحور الاقتصادي:

الذي تهدف في إلى الحصول على اليورانيوم لتمويل برنامجها النووي، وتدعيم العلاقات التجارية والاقتصادية مع دول المنطقة.

وفي هذا السياق وقعت إيران العديد من الاتفاقات التجارية والصناعية، وإطلاق المشروعات الاستثمارية مع دول عديدة مثل: كينيا وإريتريا وأوغندا وغيرها، فقد بلغ حجم التبادل التجاري بين إيران وكينيا نحو ١٠٠ مليون دولار سنويّاً، ويتطلع البلدان إلى رفع هذا المستوى إلى مليار دولار سنويّاً.

ولتجسيد تعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية

(١) «نشاط إيران في إفريقيا.. بوابة الشرق الأوسط والقارة الإفريقية»، قراءات إفريقية، ع٥، يونيو ٢٠١٠، (ص١٠٤- ١٠٥).

(٢) د. السيد عوض عثمان، «دلالات وتحديات تصاعد المد الشيعي الإيراني في غرب إفريقيا»، http://www.musim.net /vb/showthread.php?t=395339

بين إيران وأوغندا تم التوقيع على أربع اتفاقيات، كما تم إصدار بيان سياسي مشترك يؤكد على تعزيز هذا التعاون، وتم تدشين مصنع لتجميع الجرارات، وتنمية الثروة السمكية، وتخصيص بعض الأراضي لمؤسسات إيرانية بهدف إيجاد منطقة زراعية نموذجية، كما تم التوقيع على مذكرات تفاهم حول برامج إذاعية وتلفزيونية.

ومن ناحية أخرى تعمل إيران على توظيف دبلوماسية النفط لكسب ود دول المنطقة، وتجسد كينيا نموذجاً لمحاولة إيران استمالة بعض الدول الأقل احتمالاً للتحالف مع إيران، ووقعت معها صفقة لبيعها أربعة ملايين برميل من النفط الخام سنويّاً.

وفي أوغندا - والتي اكتشف فيها النفط مؤخراً- أعلن رئيسها أثناء زيارته مؤخراً لإيران أنه يفكر ببناء مصفاة لتكرير النفط ومد خط أنابيب النفط[1].

ودخلت شركة (الغاز الإيرانية الوطنية) مجال البحث عن بترول السودان واستكشافه وإنتاجه، وذلك في شكل كونسرتيوم من الشركات النفطية الغربية والآسيوية للاستفادة منه –ووفقاً لتقديرات إدارة معلومات الطاقة في الولايات المتحدة تبلغ احتياطيات النفط المؤكدة في السودان في يناير ٢٠١١ نحو ٥ مليارات برميل، ويبلغ إنتاجه منه ٤٧٠ ألف برميل يوميّاً[2] - عقب انسحاب شركة (شيفرون) الأمريكية بسبب الرفض الغربي والكنسي المتمثل في جماعات التنصير الأمريكية النشطة في جنوب السودان[3].

٣- المحور الجيو- استراتيجي والأمني:

الواقع أن التنافس بين القوى الدولية في منطقة القرن الإفريقي انتقل إلى حلقة جديدة، وهي الصراع فيما بين هذه القوى عليها، حيث يبدو التنافس الصيني- الأمريكي في القرن الإفريقي الأصعب والأكثر شراسة، ذلك أنه ينطوي على عنصر النفط الذي يعتبر أولوية لدى الطرفين، ويؤثر بشكل أساسي ورئيسي على الأمن القومي لهما، كل من زاوية أوضاعه الداخلية الخاصة أو مكانته ومكانة اقتصاده؛ إذ تتطلع الولايات المتحدة إلى المزيد من الاعتماد على هذا النفط مما يجعلها تسعى للسيطرة على المخزون العالمي منه، وهذا ما دعاها إلى محاصرة النفوذ الأوروبي في القرن الإفريقي، ومواجهة التحرك الصيني.

وفي زخم هذا التنافس؛ تحرص السياسة الخارجية الإيرانية على تأمين الحصول على موطئ قدم لها في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي، بهدف تأمين حركة الملاحة والتجارة الإيرانية من جهة، ومواجهة الانتشار المكثف للحشود العسكرية الأمريكية والغربية في المنطقة؛ التي تهدد قياداتها السياسية بحرب ضد إيران من جهة أخرى.

والثابت أن إيران توفرت لها قدرة ومهارة ي استثمار الجغرافية السياسية استراتيجيّاً من حيث الضغط على خصومها في العديد من المناطق الجغرافية، ونقل المعركة الحالية؛ خاصة مع الولايات المتحدة وإسرائيل، بعيداً عن الأراضي الإيرانية.

ومن هنا تتبدى دلالات التوجه نحو المنطقة في ظل التكالب والتنافس المحموم والمحتدم مع قوى دولية وإقليمية أخرى، ساعية لمحاولة اختراق القارة ونهب ثرواتها.

---

(١) شريف شعبان مبروك، «السياسة الإيرانية في إفريقيا وتداعياتها على الأمن القومي العربي،
http://ar.qawim.net/index.php?option=com_content&ta,"1\2sk=view&id=8122&ltemid=1317

(٢) «Country analysis brief: Sudan", US Department of Energy Information Administration, Sep, 2011

(٣) Seymour, Lee J.M, The Oil-conflict Nexus in Sudan: Conveyance، Department and State building, Northwestern University, = Department of Political Science, 2001, P 14

ولـيس هنـاك جـدوى مـن توضـيح العلاقـات الإيرانيـة بـدول القـرن الإفريقـي بعيـداً عـن تـأثيرات القـوى الدوليـة والإقليميـة الأخـرى الفاعلـة في القـارة، وأهمهـا: الولايـات المتحـدة وإسـرائيل، حيـث تـثير التحركـات الإيرانيـة في القـارة حفيظتهـا، وتجعلـها تبحـث عـن مـبررات لإثـارة العـداء إزاء إيـران، وذلـك على النحو التالي:

إيران.. ومواجهة النفوذ الأمريكي:

فقـد مثلـت منطقـة القـرن الإفريقـي بامتـداداتها الجيواسـتراتيجية أهميـة بالغـة في التفكير الاسـتراتيجي الأمريكـي، وتحتـل هـذه المنطقة موقعـاً مهمـاً في الاسـتراتيجية العـسكرية الأمريكيـة؛ خـصوصاً بعـد أحـداث ١١ سـبتمبر ٢٠٠١، في إطـار (الحـرب علـى الإرهـاب)، وإعـادة طـرح مـشروع القـرن الإفريقـي الجديـد الـذي يهـدف إلى: تـأمين الممـرات المائيـة العالميـة في البحـر الأحمـر والمحيط الهنـدي بمـا يخـدم المـصالح الأمريكيـة، فـضلاً عـن تـأمين الوصـول إلى منـابع الـنفط والمواد الخـام، وذلـك بإنـشاء القاعـدة الأمريكيـة في جيبـوتي عـام ٢٠٠٢، والـتي تـضمن الـسيطرة الاسـتراتيجية لأمريكـا علـى المنطقـة البحريـة الـتي يمـر بهـا ربـع إنتـاج العـالم مـن الـنفط، كمـا أنهـا قريبـة مـن خـط أنابيـب الـنفط الـسوداني؛ والـذي يمتـد مـن بورسـودان في الـشرق إلى خـط أنابيـب تشاد والكاميرون وخليج غينيا في الغرب.

وعليـه؛ اسـتخدمت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة مجموعـة مـن الأدوات الدبلوماسـية والاقتـصادية والعـسكرية مـن أجـل تـأمين الـنفط الإفريقـي، وضـمان تدفقـه إليهـا دون أيـة عقبـات أو مـشاكل؛ خصوصاً مـع وجـود تهديـدات متزايـدة يتعـرض لهـا هـذا الـنفط لأسـباب داخليـة وخارجيـة، والتنـافس الـدولي علـى مـوارد الـنفط في إفريقيـا، منهـا: التواجـد العـسكري المباشـر في المنطقـة، وذلـك لتـدريب الجـيش الإثيـوبي، وتـوفير المـساعدات الاسـتخباراتية واللوجـستية لإثيوبيـا، كمـا توجـد في جيبـوتي القاعـدة العـسكرية الأمريكيـة في المنطقـة الـتي تـوفر قـوات التـدخل الـسريع لأيـة عمليـات عـسكرية قد تشارك فيها الولايات المتحدة[١].

ومـن هـذا المنطـق؛ تواجـه الولايـات المتحـدة النفـوذ الإيرانـي المتـصاعد في القـرن بـشكل أساسـي وخـصوصاً مـع الـسودان والـصومال والـيمن، حيـث إن الوفـود الرسميـة الإيرانيـة لا تنقطـع عـن زيـارة العواصـم والمـدن الإفريقيـة لتحقيـق العديـد مـن المـصالح وكـسب أصـدقاء جـدد لهـم إسـهامهم في الـسياسة الدولية بطرق واساليب ووسائل متعددة.

وقـد طـورت إيـران علاقاتهـا بالـسودان الـتي اعتبرتـه بوابـة الثـورة الإيرانيـة لتـصدير الثـورة، فـضلاً عـن اسـتقطابها للتحـالف ضـد الولايـات المتحـدة، وبـدأ تعزيـز العلاقـات الإيرانيـة الـسودانية منـذ ١٩٨٥، واكتـسب أهميـة أكـبر لكونـه لا يمثـل مـدخلاً للـدائرة العربيـة فحـسب بـل - أيـضاً - للـدائرة الإفريقيـة، وازداد تطـور العلاقـات منـذ عـام ١٩٨٩ بمجـيء ثـورة الإنقـاذ للحكـم، وقـد تم الاتجـاه إلى التعـاون متعـدد الأبعـاد الـتي تراوحـت بـين الاقتـصاد والبعد العسكري والاستراتيجي[٢].

ويعـد النـشاط الإيرانـي في منطقـة القـرن وفي منـاطق أخـرى مـن العـالم نتاجـاً للدبلوماسـية الـشرسة الـتي شـنت ذد طهـران وتهـدف إلى تخفيـف الـضغوط الغربيـة والعقوبـات الناجمـة عنهـا، وبـصورة أعـم مـن أجـل مكافحـة النظـام العـالمي الـذي تـراه إيـران علـى أنه معاد لمصالحها.

وفي الوقـت الـراهن فـإن علاقـة إيـران مـع بعـض الـدول ليـست بـالقوة الكافيـة للوصـول إلى أهـدافها وبالتـالي لا تمثـل قلقـاً كـبيراً للولايـات المتحـدة، ونقطـة الـضعف الحاليـة لـشبكة التحالفـات الإيرانيـة ليـست مجـرد الانقـسامات بـين إيـران وبـين شـركائها المـستهدفين فقـط، ولكـن أيـضاً بـسبب الـضغوط

(١) د. نجلاء محمد مرعي، «النفط والدماء: الاستراتيجية الأمريكية تجاه إفريقيا(السودان نموذجاً)»، القاهرة، المركز العربي للدراسات الإنسانية، ٢٠١٢، (ص٨٨).

(٢) «الدور الإيراني في إفريقيا- السودان نموذجاً»، www.arrasid. com/indix.php/main/contents

الدائمة من الولايات المتحدة[1].

إيران.. ومواجهة النفوذ الإسرائيلي:

تعتبر منطقة القرن الإفريقي مسرحاً استراتيجيّاً حيويّاً لإسرائيل في إدارة صراعها وعلاقاتها مع الدول العربية، ويهدف تواجدها إلى استمرار مصادر النزاع عبر دعم قوى التوتر في كل من الصومال والسودان (بشكل غير مباشر من خلال إريتريا)، ودعم علاقاتها بكل من إثيوبيا وكينيا وإريتريا، ضمن منظومة من المصالح الأمنية والعسكرية، لتأمين تواجدها الاستراتيجي في المنطقة؛ والذي يحمل أهدافاً عسكرية في المقام الأول، كما كانت مهمته هو: الحصول على الاعتراف الدبلوماسي من جانب الدول الإفريقية، وذلك في إطار سعيها الدؤوب إلى تثبيت وضعها كدولة طبيعية في المجتمع الدولي، من خلال برامج المساعدات الخارجية، وتطوير التعاون الاقتصادي مع هذه الدول[2].

ويأتي ذلك في إطار عقيدة (الأمن القومي الإسرائيلي)؛ والتي تحقق لها العديد من الأهداف الاستراتيجية، ويأتي في مقدمتها: تطويق مصر من خلال السيطرة على النطاق الجغرافي المحيط بها، وتأمين الملاحة في البحر الحمر، وتأمين واردات الماس وصادرات السلاح، وضمان مورد دائم للمواد الخام التي تحتاجها الصناعات الإسرائيلية، وفتح جبهة خلفية للصراع تهدد أمن الأمة العربية.

وفي هذا السياق يؤكد بن جوريون على حقيقة هذه الأهداف بقوله: «إن المساعدات الإسرائيلية للدول الإفريقية تهدف إلى كسر طوق العزلة الاقتصادية والسياسية التي تعيشها إسرائيل، وتمهد الطريق أمام توسيع أسواق التصدير للمنتجات الإسرائيلية، وتأمين فرص عمل لعدد من القوى البشرية الإسرائيلية الفائضة»[3].

فيما تتعامل إيران في سياستها الخارجية على المنفعة المتبادلة من منطلق (براجماتي)؛ حيث ترتبط بعلاقات قوية مع أوغندا التي تربطها علاقات بإسرائيل، كما أن لإيران علاقات مع جيبوتي التي تربطها علاقات بالولايات المتحدة.

وتختلف دوافع إيران عن دوافع إسرائيل في الارتباط بشرق إفريقيا؛ حيث تأتي الدوافع الإسرائيلية على خلفية نشاط الجماعات المتشددة في كينيا، وبروز النشاط الإيراني في كل من كينيا وأوغندا، فضلاً عن الحرب الأهلية في الصومال، وما يتردد بشأن وجود لعناصر من (القاعدة) هناك، بالإضافة إلى ظهور خلافات مصرية سودانية مع دول حوض النيل، فيما اعتمدت إيران في علاقاتها على المنفعة وتقديم المساعدات الزراعية والصناعية[4].

ثالثاً: موقع العرب في ظل التدافع الدولي والإيراني نحو (القرن الإفريقي):

تعد منطقة القرن الإفريقي ذات أهمية بالغة للبلدان العربية، وتشكل عمقاً استراتيجيّاً لها، وترتبط بها على أكثر من مستوى، نتيجة الجوار الجغرافي، والتداخل البشري، والتفاعل التاريخي والحضاري، فهذه المنطقة تشكل جزءاً مهماً من الوطن العربي لوجود ثلاثة دول فيها تنتمي للوطن العربي، وهي: السودان وجيبوتي والصومال.

ويمكن القول بأن عروبة السودان والصومال وجيبوتي، والتحكم في منابع النيل وتأمين الاحتياجات المائية لكل من مصر والسودان

---

(١) «النفوذ الإيراني في لإفريقيا»، ٩ يناير ٢٠١٢،
http://www.qiraatafrican.com/view/?q=237

(٢) أحمد إبراهيم محمود، «الحروب الأهلية في إفريقيا»، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠١، (ص١٩١).

(٣) أحمد البيومي، «العلاقات الإفريقية الإسرائيلية.. خطر متصاعد يهدد العرب»، ١١ فبراير ٢٠١٢،
http://www.qiraatafrican.com/view/?q=76

(٤) «إيران: نفوذ متصاعد في منطقة القرن الإفريقي»،
http: //homeafricaonline.net/news/index.php?option=com_-55-14-26-10-content&view=article&id=44:2009 ltemid=11&14-12-18-01-09-catid=3:2009&34

والصومال، وأمن البحر الأحمر؛ تمثل محاور مهمة بالنسبة للوطن العربي في هذه المنطقة، نظراً لارتباطها المباشر بالأمن القومي العربي بشكل عام، وتأثيرها في المصالح الحيوية لبعض الأطراف العربية على وجه الخصوص.

والعرب لا محالة معنيون بكل غاشية تغشى القرن الإفريقي بحكم ارتباطهم به أمنيّاً وثقافيّاً واقتصاديّاً، ومن المفترض أن يكون لهم اهتمام بكل ما تشهده ساحة القرن الإفريقي من صراعات ونزاعات أيّاً كانت طبيعتها، ولكن بما أن العرب في وضع لا يحسدون فيه من حيث التفرق وانزواء كل دولة من دولهم في حدود ذاتها مغلقة عليها بابها! من الطبيعي أن يقضي الأمر في غيابهم جميعاً، أو أن يكون صوتهم خافتاً، ووجودهم باهتاً.

فثمة تحرك عربي شوهد من بعض الدول العربية كمصر والسعودية وقطر وليبيا للإسهام في حل نزاعات القرن الإفريقي، ومثل هذا التحرك وإن كان تعبيراً عن إدراك أهمية القرن الإفريقي للأمن العربي؛ إلا أنه من الطبيعي أن يكون بالغ التأثير ما لم يتسم بالمتابعة الجادة ليخدم فقط مصالح الاستراتيجية العربية، وإلا لن ينجح في توجيه المسار وفق مقتضيات الاستراتيجية العربية إن كان لهذه الاستراتيجية وجود فعلي، أو في قطف ثمار أي طارئ سياسي إيجابي من الممكن أن يشهده القرن الإفريقي، بل على العكس ربما جلب الضرر، وحيث أن غالب السياسات العربية لا تنطلق من دراسات تقدمها جهات متخصصة، ولا تنطلق - أيضاً - من استراتيجية أمنية موحدة؛ من الطبيعي أن تكون دون مستوى السياسة الإسرائيلية في التأثير، وأن تأتي التحركات العربية في القرن الإفريقي على غير تناسق فيما بينها، وأن ترى لكل بلد عربي موقفاً مغايراً لموقف الآخر، كل حسب مصلحته السياسية.

وفي ظل اشتداد حالة الهزل السياسي في الجسم العربي؛ والذي لا يمكنهم من اتخاذ قرارات ورسم سياسات تتجاهل أو تتنافس أو تتزاحم مع إرادة وسياسات الولايات المتحدة؛ باعتبارها القوة التي لا يعصى لها أمر، ولا يؤمن منها جانب إذا ما زوحمت ونوفست في تخطيط مناطق نفوذها الاستراتيجي، فالعرب لا يستطيعون مواجهتها أو تجاهل خططها بوضع سياسات تنبع من المصلحة العربية المحضة[1].

هذا؛ فإن ما يحدث من تطورات متلاحقة على أطراف النظام الإقليمي العربي في امتداداته الإفريقية ينذر بوجود تهديدات خطيرة لمنظومة الأمن القومي العربي، وذلك نتيجة الانفلات الأمني وانتشار التطرف وظاهرة القرصنة؛ والتي فتحت المنطقة أمام وجود عسكري دولي دائم يحد من حرية حركة الجوار العربي، وإنها ستؤثر يقيناً في أمن البحر الأحمر وتدفق مياه النيل إلى كل من السودان ومصر، فلقد تم انفصال جنوب السودان برعاية دولية وإفريقية، وغياب عربي واضح، وتقوم أوغندا وبوروندي بعملية حفظ السلام في الصومال، كما باتت دول إفريقيا والسنغال من أبرز المؤيدين لجمهورية أرض الصومال داخل الاتحاد الإفريقي.

ويبدو أن الولايات المتحدة والدول الغربية أضحت تفضل الحل الإفريقي على الحل العربي بالنسبة لمناطق التوتر والتأزم على خط التماس العربي الإفريقي، لذا فإن ما يحدث في منطقة القرن الإفريقي من تفاعلات وتجاذبات سيفضي لا محالة إلى إعادة تشكيله وصياغته من الناحية الجيوستراتيجية؛ حيث يعكس طبيعة التحالفات الإقليمية والدولية الجديدة، وأن هذا التغير سيكون معادياً للمد العربي والإسلامي في المنطقة[2].

ومع قيام موجة التغيير بثورات الربيع العربي بدا

---

(١) د. جلال الدين محمد صالح، مرجع سابق، (ص١١٣- ١١٤).

(٢) د. حمدي عبد الرحمن، «القرن الإفريقي.. إعادة تشكيل وصياغة جيوستراجية وتحالفات إقليمية ودولية جديدة»، http://www.aleqt.com/21/01/2011/494309_article.html

أن إعادة التفكير في خريطة المصالح الاستراتيجية العربية أمر مهم، لتسليط الضوء على واحدة من المناطق التي أهملت أو حيدت في العقود الماضية، وهي: منطقة القرن الإفريقي وحوض النيل.

والذي أكد على تأثير الغياب العربي في عزل الدول الإفر- عربية عن المنطقة وحرمانها من أي نفوذ أو مبادرة لحل الصراعات التي تنشب في الإقليم كما يحدث في السودان والصومال، وهو ما أدى إلى ترك المنطقة إلى النظام الدولي والإقليمي الذي لم يعمل على حل مشاكل منطقة القرن الإفريقي، بل عمقها بحروب الوكالة، وبالتشجيع على قيام دولة جنوب السودان بدلاً من التعاون، فيما حيد العرب تماماً طوال العقدين الماضين عن التأثير في مجريات الأمور هناك، أو حتى المساهمة في حفظ أمن الممرات البحرية الهامة التي تسيطر عليها المنطقة في خليج عدن وباب المندب، لذا وجهت دعوات إلى تنسيق السياسات العربية مع قوى رئيسة في الإقليم كالسودان وإثيوبيا من أجل إيجاد صيغة عربية- إفريقية مشتركة لحفظ الأمن القومي المشترك من التدخلات الخارجية؛ سواء من أطراف الإقليم (إيران، إسرائيل، تركيا)، أو من المجتمع الدولي[1].

ويشكل التكالب والتنافس الدولي - ولا سيما الإقليمي بين إيران وإسرائيل- تهديداً مباشراً، وينال من أسس ودعائم الأمن القومي العربي في صياغته الكلية وفي امتداداته الإفريقية، خاصة في ظل الغياب العربي، حيث إن الوجود الإسرائيلي في القرن الإفريقي عبر كينيا وإثيوبيا وأوغندا سيؤثر حتماً في أمن المنطقة ككل، هذا بالإضافة إلى أنه سيشكل تهديداً للمصالح الاستراتيجية للعرب - أمنيّاً واقتصاديّاً- ، حيث إن العلاقات الإسرائيلية بكل من كينيا وإثيوبيا معاً ستجعل المنطقة ساحة للصراع بين هذه القوى الثلاث، ويتم التدليل على ذلك من خلال محاولة إسرائيل تهديد الأمن المائي المصري، وممارسة الضغط على مصر، و ذلك عبر ما يسمى بدول (تجمع الاندوجو) تارة، وإثارة الخلافات بين دول حوض النيل بشأن الاتفاقية الإطارية لحوض نهر النيل المعروفة باتفاقية (عنتيبي) تارة أخرى[2].

ويشكل كثافة النفوذ الإيراني في العمق الإفريقي وفي ضوء التراجع وسلبية الأداء العربي خصماً موضوعيّاً من الوجود والمصالح العربية، حيث تقوم باختراق النظم الأمنية والإقليمية الخاصة بالقرن الإفريقي بمفهومه الجوسياسي، باعتباره ممراً وبوابةً للممرات البحرية الكبرى التي تطل عليها المنطقة العربية وهي البحر الأحمر.

كما تلعب دوراً خفيّاً في الصومال، و تزيد تعقيدات استمرارية المعضلة الصومالية، وذلك على الرغم من التباين المذهبي حيث الطابع السني للجماعات الصومالية؛ إلا أن إيران ومثلما فعلت في السابق في أفغانستان، فإنها لا تردد في التعاون تكتيكيّاً مع أي تنظيمات سنية أصولية.

وعلى الرغم من أنه توجد جاليات عربية مؤثرة في بعض الدول الإفريقية خاصة في الغرب فإنها لا تمارس دوراً سياسيّاً فاعلاً في خدمة المصالح والأهداف الإيرانية.

كما حاولت تفجير مناطق الأطراف للنظام الإقليمي العربي، فلم تكن بمنأى عن النوايا والتحركات الإسرائيلية، ليس من زاوية التطابق الكلي في الأهداف المرجوة، ولكن لعدم ترك هذه الساحة بالطلق، بل ربما لتوظيف كثافة الوجود والنفوذ الإيراني ضمن الأوراق الضاغطة والمهمة في

---

(١) «العرب والقرن الإفريقي: جدلية الجوار والانتماء»، ٢٠١١/١٢/١، http://www.dohainstitute.org/home/Details?entityID=5d045bf32-df946-cf-90a0-d92cbb5dd3e4&resourceld=ab38918a-47d382-c4-96f58bc6c57a

(٢) د. نادية عبد الفتاح، «توازنات القرن الإفريقي.. تداعيات التعاون الإسرائيلي- الكيني على المصالح العربية»، ١٧ ديسمبر ٢٠١١، http://www.qiraatafrican.com/view/?q=145

أي مقايضات سياسية محتملة، أو لدرء أخطار متوقعة[1].

رؤية مستقبلية.. للأمن القومي العربي في ظل تصاعد النفوذ الإيراني في (القرن الإفريقي).

يمكن القول بأن كافة محاولات التكالب والتنافس الدولي وتجليات خطورة الاختراق للقارة الإفريقية ترتبط بمحاولات استعمارية جديدة، بإعادة صوغ حدود العالمين العربي والإفريقي، من خلال عمليات فك وتركيب جيوستراتيجية، الأمر الذي يؤدي إلى خلق كيانات جديدة مصطنعة، تنال من مقومات وأسس النظم الإقليمية السائدة.

كما جاء التغلغل الإيراني في منطقة القرن الإفريقي لمواجهة النفوذ الأمريكي والإسرائيلي الذي يتخذ أبعاداً اقتصادية وأمنية وعسكرية على حساب الجانب العربي، ويهدد الأمن القومي العربي؛ خاصة فيما يتعلق بمياه النيل والسواحل الشرقية للبحر الأحمر، الأمر الذي يتطلب من الجانب العربي التنبه إلى خطورة ذلك، والسعي لتطوير التفاعل العربي- الأفريقي عبر صيغ مؤسسة للتنسيق والتخطيط في كافة المجالات، وأن لا يبقى هذا التفاعل رهن العلاقات الثنائية التي تحكمها الأوضاع السياسية والظروف الآنية.

كما إن تدعيم الأمن القومي العربي يتطلب الاعتماد على عدد من الركائز الواقعية والموضوعية لتغيير الواقع السلبي في العلاقات بين العرب وشعوب منطقة القرن الإفريقي، من بينها:

❖ ينبغي أن تتعامل النظم العربية مع محركات الصراع في القرن الإفريقي في ضوء المشروعية القانونية للنظام الإفريقي في مرحلة ما بعد الاستعمار، وكذلك أي تسوية سلمية محتملة تقبلها أطراف الصراع الفاعلة.

❖ يجب تأسيس حوار استراتيجي عربي- أفريقي بمفهومات وصيغ جديدة، فقد تم تجاوز المرحلة التي قام فيها هذا الحوار على أساس المقايضة والمنافع السياسية المتبادلة، ومن ثم يجب الدخول في مرحلة جديدة تؤسس على إقامة شراكة عربية إفريقية حقيقية، قوامها المصالح الاستراتيجية المشتركة، والقضايا ذات الحساسية لكل من الطرفين، من أجل تحقيق نهضة حضارية لبلدان الجنوب بصفة عامة، ومواجهة واقع الإخضاع والتهميش الذي يعانيه العرب والأفارقة.

❖ معالجة آثار الفترة الماضية بالاستفادة المأمولة من الثورات العربية، والتي سيكون لها انعكاس على السياسة الخارجية العربية، لوضع حد لسياسة تهميش العرب في هذه المنطقة؛ سواء من أطراف إقليمية أو دولية.

❖ ضرورة تأكيد المدخل الأمني لتحقيق التعاون؛ حيث إن هاجس الأمن كثيراً ما يطغى على هاجس التنمية، ومن ثم ينبغي العمل بصورة مشتركة على ا لتخلص من بؤر الصراع والتوتر العربية- الإفريقية، وإيجاد حلول عادلة لها يقبلها كل من الطرفين.

❖ الاهتمام بمنظومة الأمن في البحر الأحمر على اعتبار أنه ممر التفاعل الرئيس بين العرب والقرن الإفريقي، ويقتضي هذا الأمر أن تكون لمصر والسودان والسعودية واليمن آلية إقليمية لتحسين بيئة الأمن في البحر الحمر، ودعم علاقات الجوار مع القرن الإفريقي.

❖ ضرورة التوسع في إقامة الاستثمارات والمشروعات الاقتصادية المشتركة ليحل محل أسلوب المنح والهبات المالية ذات الطابع التقليدي؛ حيث إن أثر هذه المشروعات أكبر في تعميق الصلة الحقيقية بين العرب والأفارقة.

---

(١) إبراهيم أحمد عرفات، «مصالح القوى الإقليمية في القرن الإفريقي»، السياسة الدولية، ع١٧٧، يوليو ٢٠٠٩، (ص١٨٠- ١٨١).

الاستيلاء على مساجد السنة من خطوات مسلسل الشيعة في التغيير الديمغرافي في العراق

عبد الهادي علي(*) - خاص بالراصد

في العددين (١٠٧- ١٠٨) من مجلة الراصد تكلمنا عن أربعة مخططات أساسية لإحداث التغيير الديمغرافي في العراق لصالح الشيعة، وهو مخطط إيراني يشارك فيه عدد من الأحزاب الشيعية الدينية العراقية.

في هذا المقال سنركز على المخطط الشيعي للاستيلاء على مساجد السُنة، هذا المخطط الذي بدأ منذ الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣، فمنذ اليوم الأول للاحتلال بدأ مسلسل الاستيلاء على المساجد السنية من قِبل التيار الصدري وفيلق بدر، في محافظات البصرة وبابل والناصرية والديوانية والكوت.

ثم سلكت الأحزاب الدينية الشيعية أسلوبا آخر في محاربة المساجد السنية، ألا وهو قتل المصلين وأئمة المساجد لتفريغها من المصلين، بحجّة أن هذه المساجد هي أوكار للوهابية والنواصب بحسب مقتدى الصدر.

وفي كتابه (البادئون بالعدوان) يوثق الدكتور طه الدليمي تفاصيل هذه الجرائم في أكثر من عشرين صفحة سرد فيها أسماء المساجد وتواريخ الاستيلاء عليها، وقد تبين من هذا الرصد أن الاغتصاب والاستيلاء بدأ من تاريخ ٢٠٠٣/٤/٩ أي تاريخ احتلال بغداد، بل إنه بدأ بالجنوب العراقي قبل ذلك فما أن تسقط منطقة عراقية بيد الأمريكان إلا ويشرع الشيعة بالسيطرة على المساجد السنية فيها، كما حصل في مدينة الفاو بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٤.

(*) كاتب عراقي.

وبهذا يتبين أن هذه الجرائم لم تكن ردا على عدوان سني كما يزعم الشيعة، فلم يكن يومها لا زرقاوي ولا قاعدة ولا حتى حركات مقاومة، وإنما دولة تسقط بيد محتل، وشيعة يحتلون المساجد السنية!! وهذه الحقيقة نوجهها إلى بعض العراقيين اليوم سواء من السنة أو الشيعة الذين يحاولون خلط الأمور، فيوصف ما جرى ويجري في العراق بأنه احتراب طائفي بين طرفين، للتغطية على حقيقة الاعتداء البيّن الواضح وغير المبرر من الشيعة على السنة المدعوم بالحقد والكراهية.

لقد أكدت مصادر الوقف السني أن ١٩٠ مسجدا اغتصبت ثم عاد بعضها أو أعيد، لكن بعد أن خلت مناطقها من السنة بالقتل والتهجير من قبل ميليشيات القتل الشيعية، كما حصل في الثورة (مدينة الصدر) وفي مدينة الحرية ببغداد، فبعد أن هُجر السنة يقال خذوا مساجدكم أيها السنة، ولكن لمن يأخذونها ولا مصلين في المنطقة؟؟ كما أن بعض المساجد هُدم وسوي بالأرض كما في مسجد الدباش في مدينة الحرية.

والسؤال المطلوب الإجابة عليه من قبل النخب: لماذا لم يغتصب مسجد أو حسينية للشيعة من قبل السنة؟

في عام ٢٠٠٦ وبالتحديد بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢٣ يوم أن تم تفجير قبتي سامراء وضريحي إمامين من أئمة الشيعة (علي الهادي، والحسن العسكري)، وإمام ثالث مختف هناك ألا وهو المهدي المنتظر عند الشيعة - هذا الحادث الذي دبر من قبل إيران بشكل جلي وواضح[1] - يومها شنت حملة واسعة من قبل جيش المهدي منطلقة من

(١) رواية الشيعة المفبركة تتلخص في أن خمسة أشخاص من القاعدة قيدوا ٣٥ حارسا ودخلوا الضريح وفخخوه لمدة ١٢ ساعة، بشكل مدروس بحيث تكون ٦٠- ٧٠٪ من قوة الانفجار لتهديم القبب، و٣٠- ٤٠٪ من قوة الانفجار تهدم الأساسات.

١٩ حسينية وجامعاً شيعياً، من مدن الصدر والشعب والشعلة الشيعية، نحو مساجد أهل السنة وكانت حصيلة الدمار هي الآتي:

حرق ٣٨ مسجدا حرقا كاملا، وقصف بقنابل الهاون ٧٤ مسجدا آخر، وأغلق ٣٩ مسجدا ومنع الصلاة فيها، وتعرضت ٥ مساجد لتدمير جزئي، هذا كله في مدينة بغداد، كل هذا خلال عدة أيام فقط[1].

محاولة السيطرة على الوقف السني:

تطورت فكرة السيطرة على مساجد السنة لمحاولات السيطرة على المؤسسة التي ترعى المساجد ألا وهي الوقف السني، بواسطة فكرة دمج الوقفين[2]، تمهيدا للسيطرة على الوقف السني وما يملكه من أموال طائلة، إذ أن نسبة الوقف الشيعي تمثل ١٥ ٪ من الوقف في العراق كله، أما الوقف السني فيمثل ٨٥ ٪، بينما في بغداد تمثل أوقاف الشيعة ٥ ٪ وأوقاف السنة ٩٥٪ ، فظهرت دعوات لتوحيد الوقفين في مؤتمر اتحاد علماء المسلمين سنة ٢٠٠٨، ثم كررت سنة ٢٠٠٩، ومن ثم طرحت سنة ٢٠١١، بدعم من بعض المأجورين من السنة مثل خالد الملا ومن على شاكلته، والغاية هي سيطرة الشيعة على الوقف السني الذي يمثل الوقف الحقيقي في العراق.

وبعد فشل الدمج، جاءت محاولة رئيس الوزراء نوري المالكي بمساومة بعض الشخصيات على تسليمه إدارة الوقف السني بشرط التعاون مع رغبات المالكي في النفوذ على الوقف السني، كبديل للدكتور أحمد عبد الغفور السامرائي والذي يتهالك على البقاء في منصبة رئيسا للوقف السني، ومن تلك المؤسسات والشخصيات السنية: الحزب الإسلامي، وبعض شخصيات المقاومة المسلحة، ومحمود المشهداني رئيس البرلمان العراقي السابق، والدكتور عبد اللطيف الهميّم رئيس جماعة علماء ومثقفي العراق، وغاية هؤلاء جميعا هي الحصول على موارد الوقف المالية، لدعم جماعاتهم لا لدعم القضية السنية، لذا تجد مواقفهم جميعاً مواقف ضعيفة وباردة عندما تتعرض أملاك الوقف أو مساجد السنة لأي اعتداء من قبل الشيعة، بسبب حرصهم على ترشيح الحكومة الشيعية لهم لرئاسة الوقف السني!!

مواقف الشخصيات السنية تجاه الاستيلاء:

حرص السنة منذ البداية على عدم إذكاء أي صراع مع الشيعة برغم اعتدائهم على أهل السنة، ومعالجة الأمور بالحكمة، وهو فعل سليم ومنطقي، وكان لهيئة علماء المسلمين دور في هذه الجهود.

لكن بسبب وجود خلل في الرؤية تجاه دوافع ومنطلقات الشيعة في هذه الاعتداءات جاءت هذه المعالجة بآثار ضارة، فمثلاً الشيخ الدكتور حارث الضاري عندما سأله صحفي قناة الجزيرة أحمد منصور[3] عن استيلاء الشيعة على أكثر من ٢٧ مسجدا للسنّة؟

كان جوابه: نحن نطالب بها ومع ذلك أنا قلت لكثير من زملائنا، إن المساجد تُبنى من الأحجار وممكن أن نبني غيرها وهي لا تساوي شيئا بالنسبة لجمع الكلمة ووحدة الصف وتفويت الفرصة على المتصيدين في الماء العكر لوحدة هذا البلد ولوحدة أبنائه.

واليوم السؤال المطروح: هل نفع العراق وحدة الصف التي سعى لها الدكتور الفاضل وغيره، وتنازلت الهيئة بسببها عن أشياء كثيرة؟

أليس الضاري نفسه أصبح طريداً من العراق من قبل هذه القوى الشيعية التي تسامح معها؟ وهل نفعتكم الشعارات الجوفاء (إخوان سنة وشيعة)،

(١) كتاب (مساجد في وجه النار)، إصدار مركز الرشيد للدراسات والبحوث (٢٢٧- ٢٣٣).

(٢) بداية هذه المؤامرة كنت من قبل جلال الدين الصغير، القيادي في المجلس الأعلى سنة ٢٠٠٣.

(٣) كان هذا اللقاء في ١١ /٢/ ٢٠٠٤.

فهل كان هذا شعارا صادقا وواقعيا.

المشكلة الحقيقة تكمن في المنطلقات الفكرية لهؤلاء الأشخاص والتي تقوم على تصور خيالي غير صحيح تجاه التشيع بفضل الفكر الإخواني السائد بين نخب السنة، هذه الرؤية التي تتجاهل عامدة أن الشيعة أحزابا وأفرادا لا يكنون أي احترام لمساجد أهل السنة، بل يتمنون زوالها، كما أن لدى الشيعة مخططا بالسيطرة على العراق كله.

إن الشيعة منذ القدم يكفّرون السنة، وهو أمر يدركه كل من خالط الشيعة، فها هو الضابط برترام توماس الحاكم السياسي البريطاني في منطقة الناصرية بين سنتي (١٩١٨ - ١٩٢٠) يكتب في مذكراته قائلا: «السنة يرفضون (إمام)[1] ولذلك يُعدُّون في نظر الشيعة كفرة» أ.هـ[2]، فهذا ضابط إنكليزي شاب سكن الجنوب العراقي ففهم الشيعة وتكفيرهم للسنة، فما بال علماء أهل السُنة في العراق وأحزابهم الإسلامية يغالطون أنفسهم ولا يفهمون الحقائق كما فهمها هذا الضابط الإنكليزي الشاب!!

مسلسل جديد في هذه السنة للاستيلاء على الأوقاف السنية:

ضمن نفس المسلسل السابق يمارس الوقف الشيعي اليوم العديد من السلوكيات لهيمنة الوقف الشيعي على مناطق سنية وترسيخ الوجود الشيعي فيها، وهذه المرة استعمل القوة العسكرية، أو الأصح نوعا من البلطجة فنقل بالقوة ملكية عدد من العقارات التابعة للوقف السني إلى ملكية الوقف الشيعي.

البداية كانت في كركوك وتم تحويل ٥٠٠٠ دونم تابعة للوقف السني نقلت للوقف الشيعي.

ثم تبعها ذلك في محافظتي ديالى وبغداد، لكن العملية الأوضح كانت بدخول قوة عسكرية إلى دائرة التسجيل العقاري في منطقة سامراء ونقل ملكية المسجد الكبير السني، ثم أخذ ٥ دونمات حول مرقد الإمامين في سامراء كان هذا في ٢٠١٢/٤/٢٩، وساندتهم بذلك وزارة العدل.

ثم كانت الحادثة الكبيرة بالسيطرة على مسجد الآصفية التاريخي السني والذي مرّ عليه أكثر من ٥٠٠ عام وهو مسجد سني بحت.

ولا ننسى ما جرى في محافظة نينوى، وفي مركزها مدينة الموصل، من الكشف عن وثائق لمحاولة تغيير بعض المساجد السنية إلى حسينيات شيعية، ولكن انكشاف الأمر مبكرا أفشل المحاولة خاصة بعد تظاهر أهل السنة في الموصل ضد هذه المحاولة. وتعرضت بعض المساجد السنية هذا العام للتفجير في عدة محافظات.

إن استهداف المساجد السنية أو الوقف أو المصلين، هو مخطط تتبناه إيران بهدف التغيير الديمغرافي في المناطق السنية.

ما هو المطلوب من أهل السُنّة:

على كاهل أهل السنة مسؤولية كبيرة لإنقاذ العراق؛ لأن التهديد بتغيير هوياتهم أو تغيير ديمغرافيتهم شأن عظيم، ومن الخطأ والعبث محاولات بعض الكيانات السنية التركيز على العراق (الطرح الوطني) ككل وترك القضية السنية جانباً، لأن الشيعة الشرفاء لم نسمع لهم صوتا سواء في الخارج أوالداخل يستنكر على أبناء جلدتهم هذه الأفعال، كما أن محاولة القوميين برمي التبعات على إيران والفرس والشيعة غير العرب هي نوع من التهرب والمراوغة تجاه اعتداءات شركاء الوطن الشيعة.

صحيح أن ما سيذكر من الإجراءات المطلوبة قد لا يكون لها علاقة مباشرة بقضية المساجد والوقف السني، لكنها هي التي ستوجد الرجال المدافعين عن المساجد والوقف السني، وهذه الخطوات هي خلاصة المقالات الثلاثة التي كتبت حول التغيير الديمغرافي للعراق:

---

(١) مقصود به إمامة علي رضي الله عنه.

(٢) (مذكرات برترام توماس) ترجمة عبد الهادي فنجان وتقديم كامل سلمان الجبوري، مؤسسة المعارف للمطبوعات، ط٢، ٢٠٠٢م.

❖ لابد من تولي جهات ونخب سنية - ممن تمتلك الوعي والفهم الكافي للخطر الإيراني والشيعي- إجراء دورات مكثفة داخل العراق وخارجه لإيجاد حالة من الوعي بكيفية تحصين أهل السنة من الخطر الشيعي، ومخرجات هذه الدورات ستقوم بدور التوعية للمكونات السنية من شتى الاتجاهات وشرائح المجتمع رجلا ونساءً، ومنهم يجب أن يتم اختيار القيادات في مجالس المحافظات وفي البرلمان.

❖ تجنب مشاركة أفراد الحزب الإسلامي أو الإخوان المسلمين أو حزب البعث في هذه الدورات، لأنهم مؤدلجون بفكرة خاطئة تجاه الخطر الشيعي والإيراني، وليس لديهم استعداد لتغيير أفكارهم، ولكن يمكن أن يتعاون معهم في تشكيل تحالفات سنية.

❖ تجنب الصراع مع الأكراد، وإجراء حوارات واسعة مع المكون الكردي سيما في هذه المرحلة.

❖ لا بد من معاقبة كل سني يمارس دورا ضد مصالح السنة سواء من النخب السياسية أو الإعلامية أو المالية، من خلال تشكيل لجان تقوم بتهديده وفضحه، ومن ثم اختيار العقوبة المناسبة له.

❖ السعي لتكوين كيانات وأحزاب سنية جديدة على أسس فكرية سنية لا لأغراض انتخابية، فأهل السنة هم من أسّس العراق وهم الذين سيحافظون عليه.

❖ تكوين لجان قانونية وإعلامية وسياسية لتدويل القضية السنية في العراق وشرحها في المحافل العربية والدولية وتقديم شكاوى قانونية بسبب الانتهاكات المرتكبة من قبل الحكومة العراقية الشيعية.

❖ السعي لتكوين إقليم سني عربي (صلاح الدين + نينوى + الأنبار + ديالى) يعنى بشؤون أهل السنة، مع وضع بغداد وكركوك تحت وضع خاص يتفق عليه.

❖ الإيعاز إلى الشرفاء من الشيعة أنه لا يمكن التعاون معهم إلا بتكوين مكون شيعي خاص بهم يحارب الوجود الشيعي الديني والإيراني؛ لأنه ثبت أن هذه المكونات مخربة لأمة العراق جميعاً؛ وأن يتعظوا من أحوال شيعة الأحواز العرب في إيران.

الشيعة في مصر.. ولاءات متعددة وأهداف واحدة

أسامة الهتيمي(*) -خاص بالراصد

جاء الطلب المتكرر الذي تقدم به الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف للمراجع الشيعية بإصدار فتوى تحرم سب الصحابة الكرام وأم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنهم جميعا - كخطوة موفقة إلى أقصى درجة فقد كان في رفض المراجع الشيعية المتوقع لتلبية طلب الدكتور الطيب تحقيق لهدفين عظيمين:-

الأول: أن هذا الموقف يعد اعترافا ضمنيا بأن سب الصحابة وأم المؤمنين عائشة ضمن معتقد الشيعة، وأنهم لن يعدلوا عنه وفي ذلك رد بليغ على أولئك الذين ما زالوا يروجون لعكس هذا في إطار محاولاتهم المهترئة للدفاع عن عقيدة التشيع وتبييض وجوههم.

الثاني: أن الدكتور الطيب أعطى بذلك تبريرا منطقيا وعقليا ومقبولا لموقف الأزهر وعلماء السنة في مصر وهو الموقف الرافض لإقامة حسينيات شيعية والدعوة للمذهب الشيعي، فما ستتضمنه أفكار ودعوة هذه الحسينيات من شأنه أن يعمل على تكدير الأمن والسلم الاجتماعي في البلاد إذ أن الأغلبية المسلمة ووفقا للمنهج السني تقدر صحابة رسول الله ﷺ وتجلّهم أيما إجلال ومن ثم لن تقبل أن يكون بينها من يردد ما يخالف ذلك ويعتبره جزءا من العبادة.

وكان الدكتور الطيب ومعه لفيف من

(*) كاتب مصري.

العلماء السنة من مختلف الاتجاهات الإسلامية

في مصر قد أكدوا مرارا على هذا الموقف خاصة بعدما تجرأ عدد ممن تشيعوا على إقامة حسينية شيعية بالفعل في قلب العاصمة القاهرة بل إنهم استضافوا علي الكوراني أحد علماء الشيعة اللبنانيين لافتتاحها مستغلين بذلك حالة السيولة الأمنية في البلاد بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير.

وشدد الطيب على أن الأزهر الحصن الحصين لأهل السنة والجماعة فى العالم كله

لن يسمح باختراق المجتمعات السنية من طرف أي مذهب كان ولا يمكن للوحدة الإسلامية أن تقوم إلا بالاحترام المتبادل والتعددية المذهبية وأن التبشير بالتشيع لا مكان له بالمجتمعات السنية، والأزهر سيقف بالمرصاد لكل هذه الدعوات.

لا للتشيع

والموقف الذي اتخذه الدكتور الطيب ومؤسسة الأزهر كان انعكاسا للموقف الجمعي للأغلبية السنية في مصر والتي انتفضت بعد أيام معدودة من الإعلان عن افتتاح الحسينية الشيعية في القاهرة ما دعا الأزهر الشريف إلى عقد مؤتمر ضم بالإضافة للدكتور الطيب مجموعة من المشايخ والعلماء من بينهم الشيخ محمد حسان والدكتور حسن الشافعي والدكتور محمد عمارة والدكتور عبد الرحمن البر والدكتور محمد المختار المهدي والدكتور محمد الشحات الجندي وغيرهم... وهو المؤتمر الذي كان أهم ما اتخذه ووفقا لتصريحات الطيب تشكيل لجنة علمية من الدعاة والعلماء برئاسته للتصدي لأي محاولات لنشر المد الشيعي في مصر.

فيما قال الشيخ حسان إنه لا يجوز لأحد أن يزايد على محبة أهل مصر لآل بيت رسول الله ﷺ واصفا بغض الصحابة بالزندقة ومضيفا أنه لابد من مواجهة المد الشيعي وأن الأزهر لن يقبل إنشاء أية حسينية على أرض مصر لافتا الى أن هذا من شأنه إدخال القتال الطائفي والمذهبي إلى أرض مصر في الوقت الذي لا تتحمل فيه البلاد مثل هذا الطرح.

وأوضح أن الأزهر سيطلق مبادرة من خلال لجنة تضم كبار الدعاة والعلماء الذين سيقوموا بتوعية المواطنين في المساجد والأندية لهذا الخطر كما سيكون للتعليم دور في التوعية من خلال طباعة كتب تتضمن خطورة هذا المد الشيعي.

وكان مما قاله الدكتور عمارة عقب المؤتمر إن كثيرًا من غير المسلمين يريدون تحويل المجتمعات السنية الموحدة فقهيا إلى مجتمعات طائفية خاصة فى مصر التى تمثل العمود الفقرى للعالم الإسلامي بحيث يصبح ذلك العالم عالما طائفيا بأسه شديد فيما بينه لا يقوى على نهضة ولا يحمل لواء حضارة.

وبالفعل لم يتردد الأزهر الشريف باعتباره المؤسسة الدينية الرسمية في مصر وبدعم من مشايخ وعلماء من مختلف الاتجاهات في أن يستحث الجهات المسئولة على التحرك السريع من أجل غلق باب الفتنة الذي أريد لمصر فقامت الجهات المعنية بإغلاق الحسينية كما تم مصادرة المنشورات والملصقات والتسجيلات التي وضعت داخل هذه الحسينية.

الغريب في الأمر أن الموقف الحاسم من قبل علماء ومشايخ مصر كان له انعكاساته على موقف إيران الرسمي إذ سارعت الدولة الإيرانية على الفور بإعلان تبرؤها من هذه الحسينية وقالت على لسان محمد مهدي تسخيري الأمين العام لمجمع تقريب المذاهب بإيران إن إيران لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمجموعات الشيعية التي قامت في الفترة الأخيرة الماضية بالصلاة في الحسينيات داخل

مصر.

وأضاف أن الأقطار الاسلامية في أمس الحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى للتعاون في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إطار ما يواجهها من تحديات مشتركة وما يجمع بين شعوبها من تاريخ وحاضر مشترك مضيفا أن هذه التصرفات ممارسات فردية غير مسؤولة من شأنها الإضرار بالجهود المبذولة للتقريب بين المذاهب وتصب في خانة العمل على تفريق الوحدة الاسلامية.

والواضح طبعا أن تصريحات تسخيري هي شكل من أشكال التقية التي لا تخجل إيران ورجالاتها من تطبيقها على طول الخط إذ ليس من المتصور أن يخطو أي تجمع شيعي في مصر أو غيرها مثل هذه الخطوة الخطيرة دون أن تكون قيادات الدولة الإيرانية على علم بها فضلا عن كونها جزءاً من حساباتها المرسومة سلفا.

محاولات التفافية

لكن يبدو جيدا أن إيران ورجالها أدركوا جيدا أن أمر إقامة الحسينيات لم يكن ليمر مرور الكرام على المصريين ومن ثم فقد كان التحرك في اتجاه آخر يستهدف بالأساس ترسيخ أقدام الشيعة والتشيع في مصر على المستوى السياسي الذي بتطوره يمكن أن ينتزع الشيعة ما يدعونه حق إقامة هذه الحسينيات استنادا لمزاعم حق الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية التي يجب أن تكفل بعد ثورة يناير.

فمثلا وعلى الرغم من أن الصحفي المصري مجدي الجلاد رئيس تحرير صحيفة المصري اليوم سابقا، ورئيس التحرير الحالي لصحيفة الوطن ليس - وبحسب تأكيداته- شيعيا إلا أنه صرح مؤخرا أنه يضع اللمسات الأخيرة لتأسيس حزب شيعي كبير في مصر يكون وعاءً للفكر الشيعي تندمج فيه الأحزاب الشيعية الصغيرة التي ظهرت على الساحة مؤخرا بعد ثورة ٢٥ يناير خاصة أن الشيعة لا يقلّون عن مليون مواطن مصري لهم الحق أن يكون لهم كيان يمثلهم بحسب ما يدعي الجلاد.

وأضاف الجلاد أنه ليس بالضرورة أن يكون شيعياً لكي يؤسس حزباً شيعياً ولكن حسبه أنه يتفق مع الفكر الشيعي مشيرا إلى أنه لا يسعى إلى أن يكرس الحالة الطائفية في مصر ولكن **الهدف الأساسي من حزبه الجديد أن يحدث حالة من التوازن في مواجهة الفكر الوهابي القادم لبلادنا من مشايخ بلاد النفط.**

وبالطبع تطرح مثل هذه التصريحات التساؤل حول الأسباب والأهداف الحقيقية وراء اتخاذ الجلاد لهذه الخطوة وهل بالفعل أن كل ما يريده الرجل هو إحداث حالة من التوازن السياسي بين فئات المجتمع وعدم طغيان ما سماه بالفكر الوهابي على المجتمع المصري أم أن وراء هذه الخطوة أهدافاً أكثر خبثا؟..

الواقع يقول إن مجدي الجلاد الذي كان يرأس تحرير صحيفة يمتلكها رجل الأعمال صلاح دياب المعروف بشراكته لإسرائيليين ثم تولى رئاسة تحرير صحيفة الوطن التي يمتلكها رجل الأعمال محمد الأمين المنتمي في السابق للحزب الوطني المنحل لم يكن ذا اهتمامات سياسية في السابق فلم يكن ناشطا سياسيا انضوى تحت لواء حزب من أحزاب المعارضة في مصر أو لحركة من الحركات الجبهوية المعارضة بهدف إحداث حالة توزان ضد تغول الحزب الوطني الحاكم وتفرده بكل شيء قبل ثورة يناير ومن ثم فإن هذه الخطوة لا يمكن أن ينظر إليها إلا كونها تأكيداً على وجود مخطط يراد بمصر يرتبط ربما بإيجاد حالة من الاستقطاب الطائفي على النمط العراقي أو اللبناني كمحاولة لتشويه الوجه الجميل لثورة يناير التي أسقطت نظام

مبارك وطغمته وهو جزء من الثورة المضادة التي يصر رجالات النظام السابق على الاستمرار فيها.

والمتتبع لما نشرته وثائق ويكليكس حول علاقة مجدي الجلاد بدوائر إعلامية صهيونية قد يزيل الكثير من دوافع الدهشة والاستغراب إذ كشفت واحدة من الوثائق المسربة عن موقع ويكليكس أنه في إحدى البرقيات المرسلة من السفيرة الأمريكية بالقاهرة تم الكشف عن علاقة الصحفي الجلاد بدوائر إعلامية إسرائيلية تم توجيهه من خلال تلك الدوائر لتنفيذ مهمة الانتقاد الدائم للإسلاميين في العالم العربي وبخاصة مصر والتركيز على جماعة الإخوان المسلمين حتى يقطع الطريق على وصول الجماعة للسلطة بما يهدد أمن إسرائيل وذلك للعلاقة الوثيقة بين جماعة الإخوان المسلمين في مصر وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في غزة وخاصة أن الإخوان يوفرون الدعم المعنوي والمادي لحكومة حماس في غزة.

فإذا كان الجلاد وبحسب وثائق ويكليكس من المفترض أن يقوم بدوره لتشويه صورة الإسلاميين لعلاقتهم بحماس فماذا عن الشيعة الذين يرتبطون برباط وثيق مع إيران المفترض أنه ووفقا أيضا لما هو معلوم عن توتر العلاقة بين إيران من ناحية وأمريكا والكيان الصهيوني من ناحية أخرى أن تكون علاقة الجلاد بهم متوترة إلا أن الأمر جاء عكس ذلك وهو ما يدعم ما ذهبنا إليه في السطور السابقة.

الولاءات المتقلبة

لا يستطيع أحد أن يجزم تمام الجزم أنه بإمكانه معرفة الكيفية أو الطريقة التي يفكر بها الشيعة في مصر أو على أي أساس يحددون ولاءاتهم واتجاهاتهم فالشواهد العديدة تؤكد أن موالاة هؤلاء ليست إلا لمصلحتهم فقط دون التقيد بمبدأ ثابت يمكن على أساسه استشراف ما يمكن أن يتخذوه في المستقبل القريب ومن بين تلك الشواهد:

أنه في الوقت الذي كانت علاقة الدولة الإيرانية بنظام الرئيس البائد حسني مبارك متوترة إلى أقصى درجة إلا أننا وجدنا أن هؤلاء الشيعة تمكنوا من إقامة حسينيات في ظل الفترة الانتقالية التي يقودها المجلس العسكري الذي ثبت أنه لا يحيد في منهجه عن الخطوط العامة لنظام مبارك وفي هذا إشارة إلى أن الأمر متعمد من أطراف بعينها.

لم تتردد أغلب الطرق الصوفية بما فيها المتطرفة منها والتي تعد أرضا خصبة للتشيع في أن تعلن عن تأييدها ودعمها للمرشح أحمد شفيق لرئاسة الجمهورية في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية كما أعلنت عن دعمها له أيضا في جولة الإعادة.

في ضوء ما سبق فإن من المفارقات الشديدة أن يعلن الشيعة المصريون وبشكل صريح عن دعمهم للمرشح حمدين صباحي في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية على الرغم من أن صباحي يعد واحدا من أبرز القوميين العرب بما عرف عن القومية العربية من صراع شديد للغاية مع بقية القوميات التي تطمح للتوسع على حساب المنطقة العربية ومن بينها القومية الفارسية الإيرانية التي تستغل التشيع والدعوة له لتحقيق أغراضها التوسعية منذ نشأة الدولة الصفوية.

وكان ذلك التأييد سببا في إثارة الجدل حول كون صباحي شيعياً أم لا؟ وهو جدل انتبه له صباحي نفسه فكان حريصا على أن يختتم عبارات ترحيبه بالشيعة والإيرانيين في مصر في حال وصوله لسدة حكم مصر – التي أثارت لغطا كبيرا - بالقول بأن هذا لا يعني أنني سأسمح بنشر المذهب

الشيعي في مصر.

وتزداد الأمور ضبابية وارتباكا عندما نعلم أن الشيعة الذين أيدوا صباحي في الجولة الأولى يسارع بعضهم للإعلان عن دعمه وتأييده لمرشح الإخوان المسلمين وحزب الحرية والعدالة الدكتور محمد مرسي، ففي تصريحات للسيد إسلام الرضوي المتحدث الإعلامي باسم تيار الشباب المصري الشيعي أكد أن التيار يؤيد الدكتور مرسي في جولة الإعادة بالانتخابات الرئاسية مضيفا أن دعم مرسي نظرا لأنه يمثل المشروع الإسلامي والحضاري الذي يسعي إليه التيار فيما طالب الرضوي مرسي بالتعاون مع باقي القوى بالأخص المرشح الرئاسي حمدين صباحي ومعهم الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح وعدم الانفراد بالحكم وهي المطالبة التي ربما تفسر أسباب دعم مرسي إذ أن صباحي وأبو الفتوح المعروفين بحسن علاقتهما بإيران لن يمكنهما التنسيق أو التحالف مع شفيق في حال وصل للحكم فيما أن الإخوان ومرسي عرضوا وبصراحة شديدة على كل من صباحي وأبو الفتوح تولي منصب نائب الرئيس.

ويأبى الشيعة المصريون إلا أن يدخلوا بنا في نفق مظلم جديد إذ يدلي بعضهم بتصريحات أخرى متعارضة مع ما سبق فمثلا نجد المستشار الدمرداش العقالي الزعيم الروحي للشيعة ورئيس محكمة الاستئناف السابق ينتقد وبشدة مليونية إسقاط أحمد شفيق مؤكدا أن ذلك يعد تمردا وبُعداً عن الديمقراطية ولعباً بعقول البسطاء وتحريضاً للبلطجية.

وأعلن الدمرداش عن تأييده لأحمد شفيق وتوقع حصوله على أكثر من ١٥ مليون صوت في الإعادة.

وقد دعم القيادي الشيعي الدكتور أحمد راسم النفيس موقفَ المستشار العقالي وإن كانت لهجته بدت أكثر حيادية بطرحه لثنائية مرسي وشفيق بما توحي بأنه غير داعم لأحد الطرفين غير أن مقالاته وكتاباته جاءت وكأنها دعم غير مباشر لشفيق وذلك بذمّه الشديد لمرسي وإبداء تخوفاته اللا محدودة منه ومن ذلك تصريحاته التي قال فيها إنه يرفض وصول المرشح الإخواني للرئاسة محمد مرسي لرئاسة مصر..

وأكد النفيس أن مصر الآن بين خيارين إما خيار الميليشيا – ويقصد مرسي - أو خيار الدولة – ويقصد شفيق- مشيراً إلى أن أهم الأولويات لديه أن لا يفوز محمد مرسي بمنصب الرئيس وذلك لخطورة جماعة الإخوان المسلمين كميليشيا تريد أن تستوعب الأمة داخلها.

وفي مقال آخر يشبّه النفيس تصريحات مرسي حول الدولة اللبنانية وحزب الله بالتصريحات الإسرائيلية. ومؤكدا في ذات المقال أن حكم مرسي سيكون هو حكم مرشد الإخوان الذي يلقبه هازئا ببديع الزمان ناسيا او متناسيا أن الدولة التي يواليها هي دولة المرشد فعلا وواقعا.

المنطقي أن الشيعة يلعبون على كل الأحبال ويحاولون بمختلف الطرق الإيهام بأنهم مع من يعتقدون أنه يمكن أن تكون له الغلبة فيحقق لهم طموحاتهم المرحلية المتمثلة في ضمان حق الوجود والتحرك على أرض مصر لتحقيق أحلام وطموحات أكبر يكشف ما يحدث في البحرين وسوريا عن بعض من ملامحها.

البحرين... بركان على جزيرة
دراسة تحليلية للحركات الدينية الشيعية في البحرين وعلاقاتها الخارجية

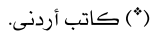
أسامة شحادة(*)

من جديد يصدر الأستاذ أحمد فهمي كتاباً متميزاً حول الحركات الشيعية في البحرين بعد كتابيه السابقين «حزب الله وسقط القناع» و«صراع المصالح في بلاد الرافدين»، وتمتاز كتابات الأستاذ فهمي بكثرة المعلومات الموثقة من المصادر الشيعية، والمتابعة الدقيقة لتحركات القوى موضع الدراسة، مما يجعل من كتاباته مادة ثرية لا يستغني عنها الباحثون المتخصصون في قضايا التشيع وإيران والجماعات المرتبطة بها، وتصل بعض فصول كتبه لتكون كتباً مستقلة.

ولكن هذه الكتابات لم تأخذ حظها من الانتشار والاشتهار، وقد يكون ذلك بسبب أن لغتها سياسية بحتة مع غزارة النقولات والغوص في التفاصيل والدقائق، وهو ما لا يجد قبولاً من القارئ العادي، كما أن عدم توفر نسخ مجانية الكترونية من كتبه جعل انتشارها محدوداً في نقاط البيع القريبة من مجلة البيان الإسلامية والتي تتولى إصدار كتبه، وهذا خلل يجب أن يعالج.

والكتاب صدر في مطلع سنة ٢٠١١ ضمن منشورات مركز البحوث والدراسات التابع لمجلة البيان، ويقع في ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير، وهو مكون من أربعة فصول.

كشف المؤلف عن غاية الدراسة بقوله: «تهدف هذه الدراسة إلى تحليل التوجهات السياسية للمجتمع البحراني من خلال دراسة تياراته السياسية ذات البعد الديني من منظور تاريخي، من أجل تحديد إمكاناتها وقدراتها الحقيقية على الفعل والتأثير السياسي، كما تتناول احتمالات تطور الحالة السياسية في البحرين بعداً أو اقتراباً من مسارات المشروع الإيراني، وتنطلق هذه الدراسة في معالجتها هذه القضايا من موقف سياسي رافض للتمدد الإيراني الذي يستهدف



(*) كاتب أردني.

إضعاف الدور السني متمثلاً في السعودية الدولة الأكبر في الشرق العربي».

في الفصل الأول (أصليون وغرباء) والذي بمثابة التمهيد تناول المؤلف قضية حجم وأصل الوجود الشيعي في البحرين، وخلص إلى أن مزاعم الشيعة بأنهم أغلبية سكان البحرين عبر التاريخ هو أمر غير صحيح، وقد فات المؤلف الإطلاع على بعض الكتب الخاصة بذلك من وجهة نظر سنية مثل كتاب «الشيعة في البحرين من أين أتوا؟ خرافة السكان الأصليين» وهو من إصدار هيئة الدفاع عن عروبة وتاريخ البحرين.

أما بخصوص السكان الأصليين فيبين المؤلف عبثية هذا المعيار، لكون أغلب الدول والشعوب تكونت نتيجة هجرات متعددة في أزمان مختلفة، فأي معيار سنعتمد كون مجموعة عرقية أو دينية هي الأصل؟

ويلفت النظر إلى أن الشيعة يتناقضون حين يزعمون أنهم الأغلبية وأنهم السكان الأصليون، لأن توصيف الأمم المتحدة للسكان الأصليين هو: «فئة غير سائدة في المجتمع»!!

وفي قضية التجنيس التي يشتكي منها الشيعة فاعتبرها قضية دعائية لأغراض سياسية، لكنها قابلة للنمو والتطور والاستغلال السيئ ضد البحرين كدولة.

أما الفصل الثاني والذي جاء بعنوان (الخريطة الدينية للمجتمع الشيعي في البحرين) فقد خصصه لموضوع الإخبارية والأصولية، وموضوع تيار الشيرازي الرساليين.

فتناول في موضوع الإخبارية والأصولية نشأتهما والصراع بينهما ودور ثورة الخميني في حسم الصراع لصالح الأصوليين، مما خفف مظاهر العداء بينهما بسبب ضعف الإخباريين لا سيادة روح الوئام بينهما!

والآن ضعفت الإخبارية في البحرين بعد أن كانت متجذرة ومتربعة على قلوب شيعة البحرين، حتى ظهر ما سمي بالتيار الثالث «الهجين» وهو شباب الإخباريين الذين انخرطوا في جماعات وأحزاب الأصوليين التابعة للشيرازي أو باقر الصدر أو الخميني، وأصبحوا اليوم قادة شيعة البحرين.

وفي المبحث الثاني استعرض المؤلف تاريخ التيار الرسالي (المدرسي- الشيرازي) بداية في العراق، ومن ثم وصوله للبحرين، والصراع الداخلي بين الشيرازي وأبناء أخته: محمد تقي وهادي المدرسي اللذين أسّسا فرع البحرين، وهذا التيار كان سباقاً في تشكيل وعي شيعي متطرف في البحرين دينياً وسياسياً، لكن بعد محاولته الفاشلة في الانقلاب على الدولة سنة ١٩٨١، بدأ يتقلص دوره السياسي وأصبح هامشياً.

وفي الفصل الثالث (الخريطة السياسية للمجتمع الشيعي) وهو أكبر الفصول ولب الكتاب، فهو استعراض لمسيرة الحركات السياسية الشيعية على مدار ٤٥ عاما منذ منتصف الستينيات وإلى يومنا هذا، والتي يقسمها إلى ثلاث مراحل:

١- الأولى: من منتصف الستينيات وحتى عام ١٩٨٣ والذي تم فيه حل حزب الدعوة الشيعي العراقي.

٢- الثانية: تمتد حتى عام ٢٠٠٠، مع بداية الاصلاح السياسي في البحرين.

٣- تمتد إلى يومنا هذا.

في البداية ينبّه المؤلف للدور المركزي الذي يلعبه الخارج (العراق/ إيران) في خيارات وسلوك شيعة البحرين، وأن شيعة البحرين هم في الواقع صدى ورد فعل وليس فعلاً مستقلاً.

يبدأ المؤلف بالجبهة الإسلامية لتحرير البحرين والتي تأسست في نهاية الستينيات على يد هادي المدرسي مبعوث الشيرازي، لتكون واجهة التيار

الرسالي.

فيستعرض نشأة التيار في العراق والبحرين وعلاقته بالخميني في العراق وعقب الثورة، ثم يدرس ويحلل استراتيجية هادي المدرسي التي قامت على الاختراق والتدرج والتثوير تجاه ثلاثة قطاعات هي: العلماء وطلبة العلم، جموع الشباب وعامة الناس، الأجهزة الرسمية للدولة.

ومن أجل تحقيق ذلك قام بإنشاء العديد من الواجهات لتقوم بالمهمة مثل حركة الكفاح الثوري، الصندوق الاجتماعي الحسيني، جمعية الإرشاد وجمعية الشباب وغيرها.

وبعد ثورة الخميني حاول المدرسي تطبيق الفكرة في البحرين بانقلاب لكنه فشل، ومن ثم تحول لفكرة ثورة شيعية من الخارج من القطيف والإحساء تستولي على البحرين لكنها فشلت أيضا، فتحول للتواصل مع المنظمات الغربية وحقوق الإنسان.

ثم تناول المؤلف حزب الدعوة، من خلال استعراض نشأة الحزب في العراق وتطوراته، ومن ثم وصوله للبحرين من خلال سليمان مدني، وقد استطاع هذا التيار التحالف مع الدولة في السبعينيات ضد الشيوعية، وقد كان للحزب بعض الواجهات التي تعبر عنه مثل جمعية التوعية ومجلة المواقف.

وبعد نجاح الثورة الإيرانية حدث تطور جذري في منهج الحزب بالذوبان في الخميني ونظامه بعد عدائهم له، ويكفي أن نعلم أن علي الكوراني – اللبناني الذي يظهر في الفضائيات – وصف الخميني في تلك الفترة بأنه «حمار يمتطيه الشيوعيون»!!

وبعد ضرب الجبهة والحزب بسبب تنظيمهما السري ومحاولة زعزعة الأمن، ظهر بين معتقلي الطرفين تنظيم شيعي جديد عرف باسم «جماعة السفارة» أي السفارة عن الإمام المهدي، وتعبر عنهم اليوم جمعية التجديد في البحرين.

ثم ينتقل المؤلف لرصد وتحليل مواقف هذه الأحزاب في المرحلتين الثانية والثالثة، تجاه الدولة والعلاقة مع الخميني وإيران، والتطورات الداخلية لهما، وصعود بعض الأسماء الجديدة مثل: علي سلمان، زعيم جمعية الوفاق.

وهذا الفصل مليء بالتفاصيل والمعلومات المهمة للمتخصصين، والتي تكشف مقدار الجهد والمتابعة اللذين بذلهما المؤلف للخروج بهذه الدراسة.

وقد خصص المؤلف الفصل الرابع والأخير (العلاقة مع إيران)، لكشف آلية استقواء الحركات الشيعية البحرينية بإيران، خاصة أن أطماع إيران بالبحرين لم تتوقف قط.

وفي الخاتمة يحذر الكاتب من أن الدولة في البحرين أصبحت أمام خيارين صعبين هما: التعامل مع تيار المسايرة الشيعي الذي يتبنى استراتيجية خطرة على المدى البعيد، أو التعامل مع تيار الممانعة الشيعي وهو خطر على المدى القريب!!

وهذا الخطر يتضح من خلال صفحات الكتاب التي كشفت عن جهود طويلة وكبيرة من الشيعة باتجاه السيطرة على البحرين، في حين لا تواجهها أية جهود حقيقية من قبل السلطات أو المؤسسات السنية، وهذا هو الخطر الأكبر، حين يعمل عدوك وأنت لا تعمل، فلا بد من أن ينجح في يوم ما!!

• لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"

قالوا: وكيل مشايخ الطرق الصوفية بالإسكندرية: سندعم شفيق لأنه من نسل الحسين عبر الطريقة التيجانية.

الوطن المصرية ٢٠١٢/٦/١٢

عذر أقبح من ذنب!

قالوا: لا يستبعد وجود منشقين عن جيشه، مدعومين مما وصفها بجهات خارجية، يقاتلون إلى جانب نظام الرئيس بشار الأسد ضد المتظاهرين والجيش السوري الحر المعارض.

مقتدى الصدر، وكالات ٢٠١٢/٦/٨

جلد الفاجر

قالوا: اتهم نواب كويتيون وزير المالية الكويتي مصطفى الشمالي بأنه شريك في شركة خرقت الحظر الدولي على إيران بسبب برنامجها النووي بتمويل أنظمة «صواريخ إيرانية» ضمن المشروع النووي الإيراني.

صحيفة الراية القطرية ٢٠١٢/٥/٢٤

سياسة حسن الجوار!

قالوا: بعد لقاء بالسفارة الإيرانية في دمشق، أرسل وفد من ١٥ يمنيا إلى طهران لمقابلة مسؤولين بأسماء مستعارة عرضوا عليهم أسلحة وتدريبا.

الشرق الأوسط ٢٠١٢/٥/١٢

باختصار..

قالوا: اعتمدت إيران في سياستها الخارجية على أمرين اثنين، أولهما إظهار أكبر قدر من العداء والتناقض مع الغرب وإسرائيل، والأمر الثاني، كان تركيزها على العمق الإسلامي وضمنه العربي في علاقات الصداقة والتعاون...

غير أن الواقع العملي في السياسة الإيرانية الخارجية، جرى في سياقات مختلفة إلى حد بعيد، بل يمكن القول إن السياقات العملية في سياسات إيران الخارجية، جعلت من المحيط القريب العربي والإسلامي الخصم والعدو أو ما هو في مقامهما، وبالتوازي جرى تهميش مسار العداء والخصومة مع الطرف الغربي الأميركي خاصة ومع الطرف الإسرائيلي أيضا، بل إن تعاونا جرى بين إيران والمصنفين في قائمة أعدائها على نحو ما جرى بين إيران والولايات المتحدة إبان احتلال الأخيرة للعراق في السنوات الأخيرة، وعلى نحو ما جرى في موضوع علاقات الباطن وصفقات الأسلحة بين إيران وإسرائيل في الفضيحة المعروفة باسم إيران غيت في عقد

الثمانينات.

فايز سارة – الشرق الأوسط ٢٠١٢/٦/٧

اقتناص الفرص

قـالوا: تعـرّض خـط أنابيـب باكـستان لـضغوط وانتقـادات مــن الحـكومـة الأميركيـة الــتي تقـود حملـة العقوبـات الاقتـصادية والنفطيـة ضـد إيـران ...

لم يتـأخر الـرئيس الإيراني نجـاد وهـو يـستقبل الـدكتور فـردوس عـشيق أمـان الـوزير الاتحـادي الباكـستاني للتنظـيم والخـدمات في القــول: «إن أعـداء باكـستان سـوف ينظـر إلـيهم علـى أنهـم أعــداء إيــران». ونــشرت تــصريحه هــذا كــل الصحف الباكستانية.

التجـاوب مـع مـد اليـد الإيرانيـة يلقـى شـعبية في باكــستان ويجعــل مــن أي خطـوة لــزرداري تجـاه إيــران مقبولــة لــدى الــرأي العــام هنــاك. وفي اســتطلاع للــرأي العــام شمــل ٢١ دولــة، كــان الباكــستانيون الأكثــر تأييــدا لتملــك إيــران الــسلاح النــووي (٥٠ في المائـة)، وكــانوا النــسبة الأقـل (١٣ في المائـة) ممـن يعتـبرون إيـران النوويـة تشكل أي خطر.

إن ســبب الــشعبية الــتي تحظـى بهـا إيـران في باكــستان لــه علاقـة بالمـشاعر المعاديـة للولايـات المتحدة لدى الرأي العام الباكستاني.

هدى الحسيني – الشرق الأوسط ٢٠١٢/٦/٧

ويحدثونك عن اللُحمة الوطنية..

قـالوا: في مكالمـة هاتفيـة جـرت بـين أسـقف بـارز بـالمجمع المقـدس وأحـد الحـالمين بخلافة البابا شـنودة والفريـق أحمـد شـفيق تعهـد لـه خلالهـا بتـصويت ٣ ملايـين قبطـي لـه، مـشيراً أن الأقبـاط يرونــه المنقــذ مــن ظلمــات «التيــار الإســلامى» – بحسب قوله.

المصريون ٢٠١٢/٦/١٦

لا للتدخل الأجنبي في سوريا!!

قــالوا: البــواخر الروســية مازالــت تنقـل إلى الأسـد وشـبيحته الأسـلحة ليبـاد مـن تبقّـى مـن أهـل سـوريا، والمليـارات الإيرانيـة مازالـت تتـدفّق عـبر بــواخر الــنّفط الفنزويلــي، وعــبر شــراء المواقـف الدولية.

إبراهيم الشيخ – أخبار الخليج ٢٠١٢/٥/٢٧

على بلاطة

قــالوا: يقولــون إنهــم يلاحقــون الإرهــابيين فليتفـضلوا ويلقـوا القـبض علـى قتلـة رئـيس الحكومـة الراحـل رفيـق الحريـري وهنـاك مـذكرات توقيـف صـادرة بحقهـم وسمعنـا الأمـين العـام لـ «حـزب اللّه» الـسيد حـسن نـصر اللّه يـشير بأصـبعه ويقـول إنـه لـن يـتم تـوقيفهم، إذًا أصـبح هناك أبناء ست وأبناء جارية في البلد.

أنــا اعتــبر «حــزب اللّه» إرهابيــاً تفــضلوا واعتقلوا كل «حزب اللّه».

الشيخ بلال دقماق رئيس جمعية «إقرأ»، موقع الحدث نيوز ٢٠١٢/٥/١٤

لا يجب أن تبتعد حماس عن سوريا

د. حسن هاني زادة - تهران أمروز (طهران اليوم) ٢٠١٢/٣/١١
نقلاً عن مختارات إيرانية ٢٠١٢/٤
[هذا نموذج للخطاب السياسي الإيراني مع الحركات الإسلامية السنية]- الراصد

على مدى الأشهر الأخيرة كنا قد شاهدنا تقارباً بين حركتي فتح وحماس، وفي هذا الصدد يمكن القول: إن أحد العوامل المؤثرة في هذا التقارب يرجع إلى التطورات وبعض النتائج المترتبة على الصحوة الإسلامية التي تجلت على مدى العام الأخير، ففي هذه الأثناء فقدت حركة فتح - مع سقوط ابن علي في تونس، ثم حسني مبارك في مصر- حليفيها التقليديين القويين في المنطقة.

وقبل هذا كانت حماس ترى أن إيران وسوريا هما أهم حلفائها وأنصارها، ومع حدوث الصحوة الإسلامية - وخاصة بعد اختلاق أزمة بين العرب والغرب في سوريا- توصلت حماس إلى استنتاج خاطئ؛ أنه من المحتمل إلى حد كبير انهيار نظام الأسد، ولو أنها ظلت في حالة تحالف مع هذا النظام سيؤثر هذا سلباً على مكانتها في العالم العربي أكثر من ذي قبل، ولذا كان من نتائج هذه التطورات والتصورات: حدوث تقارب بين فتح وحماس، وابتعاد الأخيرة عن سوريا، وهذا يعني: أن حماس وقعت فريسة الألاعيب السياسية في المنطقة والوعود التي قطعتها بعض دول المنطقة على نفسها.

وهنا يجد بالذكر أن السعودية وقطر قطعتا على نفسيهما حزمة من الوعود والالتزامات لحماس بأنها في حال خروجها من المرحلة العسكرية الأمنية ودخولها المرحلة السياسية ستحصل في المستقبل على مساعدات أكثر وتأييد أكبر، وهو أمر مقبول من جانب الإسرائيليين أيضاً، وهم يريدون في الواقع احتواء حركة حماس وتفريغها من مضمون المقاومة، وعلى هذا فإن دولاً مثل تركيا والسعودية وقطر سيكون لها دور مؤثر في التوجه الجديد لزعماء حركة حماس.

زيارة إسماعيل هنية لقطر والكويت وتركيا ومصر وتونس تبين أن إسماعيل هنية في الواقع انخدع بما يصدر عن هذه الدول، ولا يملك تحليلاً دقيقاً للأوضاع، لكن هذا التوجه الجديد لحماس سيؤدي إلى مزيد من الانقسامات والانشقاقات في الداخلية كما حدث بين زعماء مثل محمود الزهار وإسماعيل هنية، إذ يرى الفصيل التابع للزهار أنه لا يجب أن تنخدع حماس مرة أخرى؛ لأنها في الماضي انخدعت في العرب أيضاً، وخرجت من المرحلة العسكرية الأمنية، ودخلت العملية السياسية؛ شاركت في الانتخابات البرلمانية، وشكلت الحكومة، لكن هذه الحكومة لم يتم الاعتراف بها رسمياً إلا من قبل سوريا وإيران ولبنان، أما بقية الدول لم تعترف بهذه الحكومة.

والآن تكرر حماس نفس الخطأ! الآن زعماء حماس سينخدعون بتصرحات حمد بن خليفة آل ثان الكاذبة، وسرعان ما سيتخلون عن حلفائهم

القدامى وينضمون تحت لواء قطر، وهذا الأمر يعتبر خطأً استراتيجيّاً، ولهذا السبب يوجد الآن خلاف بين زعماء حماس على السياسات المستقبلية لهذه الحركة، ويبدو أن في المستقبل ستتحول حماس إلى فصيلين أو مرحلتين: واحدة عسكرية، وأخرى سياسية، واحدة بزعامة الزهار، والأخرى بزعامة هنية.

إن الأحداث الأخيرة التي يشهدها قطاع غزة، والقصف الجوي الذي يقوم به الصهاينة على القطاع، واستشهاد الأبرياء لدليل قاطع على الخطأ الاستراتيجي الذي وقعت فيه حماس بابتعادها عن سوريا وتخليها عنها باعتبارها إحدى الحلقات الرئيسية في تيار المقاومة.

تقليص عدد نواب أهل السنة في البرلمان التاسع

طاهر شبر محمدي دوتشيه - فيليه الألمانية ٢٠١٢/٣/٦
نقلاً عن مختارات إيرانية عدد ٢٠١٢/٤

انخفض عدد نواب أهل السنة في البرلمان التاسع بالمقارنة مع الدورات السابقة، ويعتقد الخبراء أن تنحية نواب أهل السنة في بعض مناطق الجمهورية يزيد من اتساع الهوة بين الحكومة وأتباع المذهب السني.

كما انخفض إقبال أهل السنة على صناديق الاقتراع في الانتخابات البرلمانية الأخيرة بشكل ملحوظ، ويقول الخبراء في شئون أهل السنة للصحيفة الألمانية دوتشيه فيليه: «فشل أكثر من ٥٠٪ من نواب أهل السنة بالبرلمان في الحصول على صلاحية مجلس صيانة الدستور بسبب رسائلهم المتكررة إلى آية الله خامنئي، ودورهم في لجنة نواب أهل السنة بالبرلمان.

وعليه؛ فقد تقلص عدد منابر البرلمان المعنية بطرح وتوضيح أتباع المذهب السني، كما أن نتائج فرز الأصوات في النواحي ذات الأغلبية السنية توضح أن انخفاض أعداد نوابهم في البرلمان».

من گنبدكاووس إلى اختيار مرشح عن التركمان:

يقول التركماني يوسف كر الناشط المدني في حوار مع دوتشيه فيليه: «حصل ١٢٩ مرشحاً على الصلاحية في محافظة گلستان، وحتى الآن لم يتم إلا اختيار مرشح واحد عن التركمان».

وحسب تصريحات هذا الخبير في شئون التركمان الإيرانيين: «إنها المرة الأولى في الانتخابات الحالية التي لا يفوز فيها إلا مرشح واحد عن مدينة گنبدكاووس ذات الأغلبية التركمانية، فيما فشل التركمان في الحصول على العضوية البرلمانية في باقي المدن ذات الأغلبية التركمانية من مثل: بندرتركمن، وآقلا».

زيادة النفور بين أهل السنة:

يقول جواد قناعت محافظ گلستان: «شارك ما يزيد على ٨٠٪ من مواطني المحافظة في الاقتراع، وحسب إحصائيات المحافظ يجب انتخاب أربعة عن التركمان بحسب التعداد السكاني للمحافظة».

وأكد يوسف كر أن الجمهورية الإسلامية تحول دون دخول التركمان إلى البرلمان بالحجج المختلفة والحيل الإدارية، ووصل إلى نتيجة مفادها: أن النفور تزايد بشدة بين أهل السنة بسبب الحيلولة دون دخول التركمان إلى البرلمان.

الشكوك حول أصوات الناخبين في زاهدان:

تطرق الدكتور عبد الستار دوشوكي - الناشط السياسي البلوتشي (مقيم بمدينة لندن)- في حواره مع دوتشيه فيليه إلى الشكوك حول نزاهة التصويت في محافظات سيستان، وبلوتشستان، واستدل بقوله: «في مدينة مثل زاهدان - ذات الأغلبية السنية البلوتشية- فاز السيد شهرياري مرشح السيستانيين بفارق ٣٠ ألف صوت على مرشح البلوش، وهذه قضية لها ما يبررها، حيث لم يكن الإقبال الجماهيري في مناطق البلوش أخاذاً، ذلك أن الجماهير تشارك في العادة

بسبب المنافسة القبلية بين المرشحين، ولكن ليس بالشكل الذي تقدمه الجمهورية الإسلامية».

واستنتج السيد دوشوكي حدوث نوع من الهندسة في تكوين الأصوات وتعدادها.

هل تتشكل لجنة نواب أهل السنة بالبرلمان؟

نظراً لقلة عدد نواب أهل السنة بالبرلمان يتوقع الخبراء أن المجال لم يعد مهيئاً لإعادة تأسيس لجنة نواب أهل السنة بالبرلمان، ويعتقد دوشوكي أنه حتى في حال تكوين هذه اللجنة فسوف تقع تحت سيطرة القيادة.

وأضاف: «تشترك التيارات المختلفة في وجهات النظر المتعلقة بالسيادة الإيرانية فيما يتعلق بقضايا أهل السنة، وكذلك فإن لجنة أهل السنة بالبرلمان سوف تتحول إلى تكوين شكلي في دائرة تأييد قيادة النظام، وسوف يفضل نواب أهل السنة - الذين تم اختيارهم كنواب بالبرلمان التاسع- التزام الصمت حيال خطط الحكومة لإدارة المعاهد الدينية السنية، والتدخل في الشئون الدينية لأهل السنة، وسوف ينأون (بعكس الدورات السابقة) عن إثارة التحديات والعقبات تجاه سياسات وقوانين الحكومة».

ترحيب كردي ضعيف بالانتخابات:

يقول كاوه قريشي - الخبير في شئون الأكراد الإيرانيين- : «لا يمكن جغرافيّاً تصنيف مناطق خاصة بالأكراد في إيران، حيث يعيش الأكراد في مدن كردستان، وكرمانشاه، وايلام، وأذربيجان الغربية، ولم تُنشر أي إحصائيات بشأن اعتقاد المواطنين أو النسب المئوية بخصوص مشاركتهم في الانتخابات.

وفي محافظة كردستان - ذات الأغلبية السنية- فاز المرشحون المحليون من الأكراد بعضوية البرلمان».

وأضاف: «إن المشاركة الضعيفة للأكراد يمكن رؤيتها في انعدام قدرة نواب البرلمان في السابق.

كان لنا في البرلمانات السادس والسابع لجان للنواب من الأكراد، وأخرى لأهل السنة، ورغم ذلك لم يقع أي تغيير يُذكر فيما يتعلق بحقوق أهل السنة، ولم يتمكن أهل السنة في طهران من بناء مساجد لهم، بل أغلقت مصلياتهم في طهران والعواصم الإيرانية».

اعتماد سياسة واحدة تجاه أهل السنة:

تطرق قريشي في حواره إلى نتائج التصويت في المناطق ذات الأغلبية السنية وقال: «لو حصلت عناصر خامنئي على الأغلبية في البرلمان فهذا دليل على أن السياسات الإيرانية العامة سوف تستمر في التعامل بقوة مع الأقليات الدينية كما في السابق، بينما لا يعبأ أعوان أحمدي نجاد بحقوق المواطنين في هذه المناطق.

وعليه؛ فإن كلا الجناحين يتبع سياسة واحدة».

وأضاف: «في أفضل الظروف وحتى في أكثر العصور الذهبية واجه انضمام الدكتور جلال جلالي زاده - النائب الكردي- إلى الهيئة الرئاسية للبرلمان السادس موجة من التكتلات المعارضة لدرجة أن بعض النواب تم تهديده بالإقالة من البرلمان إذا صوت على انضمام عضو سني إلى الهيئة الرئاسية».

تدهور أوضاع أهل السنة خلال الدورة البرلمانية التاسعة:

تشترك وجهات نظر الخبراء في اعتناق كافة التيارات المختلفة الحاكمة في إيران عقيدة واحدة بخصوص أهل السنة، وتوقعوا تدهور أوضاع أهل السنة خلال الدورة البرلمانية التاسعة.

وسوف تتضح بقوة معالم السياسات الحكومية بخصوص السيطرة على المعاهد الدينية؛ خاصة بعد تنحية عدد من نواب أهل السنة، بالإضافة إلى زيادة حالة النفور بين أتباع المذهب السني تجاه السياسات العامة للنظام.

أهل السنة في البرلمان:
رسائل بلا إجابات، وحملة موسعة في رفض الصلاحية

شهرام رفيع زاده - راديو فردا ٢٠١٢/٢/٢٦
نقلاً عن مختارات إيرانية ٢٠١٢/٤

بدأت لجنة نواب أهل السنة في البرلمان المعروفة باسم (جمعية نواب أهل السنة) نشاطها مع بدء فاعليات البرلمان الثامن، ولكنها تكونت بشكل رسمي في الرابع من أغسطس ٢٠٠٨، برئاسة جلال محمود زاده، وتم انتخاب عبد الله رستكار متحدث رسمي، وحميد رضا بشنك كأمين عام.

وانضم للجنة عدد من نواب أهل السنة في البرلمان منهم: جلال محمد زاده - نائب مهاباد- ، إقبال محمدي - نائب مريوان وسرو آباد- ، أمين شعباني - نائب بوكان- ، محمد علي برتوي - نائب سردشت وبيرانشهر- ، فخر الدين حيدري - نائب سقز وبانه- ، فتح الله حسني - نائب باوه واورامانات- ، محمد رضا سجاديان - نائب خواف ورشتخوار- ، عبد الله رستكار - نائب كنبد كاووس- ، حميد رضا بشنك - نائب خاش وميرجاوه- ، محمد قيوم دهقان - نائب ايرانشهر، سرباز ودلكان- ، عماد حسيني - نائب قروه ودهكلان- ، حضور داشتند وأحمد جباري - نائب بندرلنكه، بستك وبارسيا- ، عبد العزيز جمشيدزهي - نائب زاهدان- .

لكن تصادف تكوين هذه اللجنة مع تنفيذ حكم الإعدام ضد المدون يعقوب مهرنهاد، مراسل صحيفة (مردمسالاري) في زهدان، ومدير (منتدى شباب صوت العدالة)، وأحد نشطاء اهل السنة المدنين، وكان يعقوب قد اعتقل من قبل قوات الأمن في زهدان بصحبة أخيه إبراهيم مهرنهاد، البالغ من العمر ١٦ عاماً وأربعة من أعضاء (منتدى شباب صوت العدالة) في ٢٦ أبريل ٢٠٠٧، عقب انتهاء فعاليات التجمع السنوي الخامس المعروف باسم (الشباب يسأل، المسئول يجيب)، وكان قد كتب في الحادي عشر من أبريل ٢٠٠٧ على موقعه الإلكتروني: «إن المطالب الحالية للمواطنين في سيستان وبلوتشستان تتلخص في تغيير المدراء غير الموفقين، وإحلال آخرين معتدلين بدلاً من المتعصبين دينيّاً في المحافظة»، ثم ادعى المسئولون القضائيون بعد إعدام يعقوب مهرنهاد أنه كان متهماً بالتعاون الثقافي مع جماعة جند الله السنية.

هذا الحدث ليس الوحيد على تصاعد الضغوط المنهجة والعقبات ضد أهل السنة بعد وصول أحمدي نجاد على السلطة عام ٢٠٠٥، حيث بلغت الضغوط والقيود الدينية والعرقية ماها؛ خاصة في المحافظات الغربية والشرقية من البلاد مثل: كردستان وسيستان وبلوتشستان، عبر اعتقال مشايخ أهل السنة والنشطاء في المجالات المدنية والثقافية عام ٢٠٠٥، وبعد تصديق المجلس العلى للثورة الثقافية على لائحة ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٧ المعروفة باسم (ميثاق المجالس الحكومية لمناهج مدارس التعليم الديني لأهل السنة)، وبهذا أضحت إدارة المدارس الدينية لأهل السنة خاضعة لإشراف (مجلس نواب الولي الفقيه لشئون أهل السنة) و(مجلس تخطيط المعاهد الدينية لأهل السنة).

وقد وصفت عمليات إعدام مولوي عبد القدوس ملازهي - صهر مولوي محمد عمر سربازي، احد الفقهاء المحدثين، وابرز رجال أهل السنة- ، ومولوي محمد يوسف سهرابي، ١٠ أبريل ٢٠٠٨، الهجوم على المعهد المسائي أبو حنيفة الديني بقرية عظيم آباد زابل في ٢ أغطس ٢٠٠٨، واعتقال عدد من النشطاء ومشايخ أهل السنة أمثال: مولوي يوسف إسماعيل زهي، مولوي عبد الحكيم عثماني، عبد الكريم شه بخش، عبد الرحمن شه بخش، عبد القادرناروبي، محمد حسين خليل - مدير مؤسسة خليل زهدان الثقافية- ، ومحمد عمر - شاعر بلوج- ، وتنفيذ حكم الإعدام ضد آخرين من مشايخ أهل السنة مثل: مولوي خليل زارعي، وحافظ صلاح الدين سيدي، بتهمة الحرابة في ٣ مارس ٢٠٠٩، هذا إلى جانب ما جاء في رسالة أبريل ٢٠٠٨ بشأن نشطاء

مدينة مريوان المدنيين، بالزيادة المرعبة في حالات القتل وإبادة المدنيين.

وقد أدت - وغيرها من النماذج- على الضغوط الدينية والعرقية إلى تشكيل لجنة نواب أهل السنة في البرلمان الثامن، وكان على هذه اللجنة حل المشكلات الاقتصادية، وارتفاع معدلات البطالة في المحافظات السنية، وتعمد قطع الغاز عن المناطق المأهولة بأغلبية سنية عام ٢٠٠٧، بخلاف القيود الجديدة من قبل قوات الأمن على المحافظات الحدودية؛ والتي أدت إلى مقتل واعتقال العشرات في مدينة كول بران.

إلا أن قلة نواب أهل السنة في البرلمان حال دون أن يكون للجنة أي تأثير يذكر على سياسة البرلمان العامة، وقد كان نواب اللجنة من أهل السنة، ولم يكن له الحق في استخدام الآليات البرلمانية من مثل: (التكلم قبل الاستئذان)، (استجواب المسئولين في جلسات البرلمان العلنية)، (مخاطبة المسئولين بشأن المشاريع العمرانية وقضايا المنطقة)، (كتابة رسائل افتتاحية للمرشد علي خامنئي) بشأن تطوير الإجراءات بالدوائر الانتخابية، (التأثير على سياسات الجمهورية العامة تجاه الأقليات الدينية والعرقية، (الاعتراض على نقض الدستور، والتمييز الديني والعنصري).

الاعتراض على إعانات وسائل الإعلام الحكومية لأتباع المذهب السني:

وكان أهل السنة - قبل تشكيل لجنتهم البرلمانية- قد تقدموا بطلب اعتراض إلى السيد محمد حسين صفار هرندي - وزير الإرشاد الإسلامي بحكومة أحمدي نجاد- بشأن إهانة فرج الله سلحشور وصحيفة (كيهان) لمعتقدات أهل السنة، وكانت الصحيفة المذكورة قد نقلت في عددها المؤرخ بـ ١٥ يونيو ٢٠٠٨ عن فرج الله سلحشور - من صناع الأفلام بالإذاعة والتلفزيون الإيراني ومخرج مسلسل (يوسف النبي)- قوله: «لقد تتبعت تفاسير أهل السنة لقصة يوسف في القرآن، وأرى أنه من المخجل إدراج أهل السنة تحت بند المسلمين، ويمكنني القول أن رؤية أهل اليهودية والمسيحية للقصة أفضل كثيراً من أهل السنة».

ورداً على الأمر كتب نواب أهل السنة في البرلمان رسالة إلى محمد حسين صفار هرندي، بتاريخ ٢٣ يونيو ٢٠٠٨: «إن صحيفة (كيهان) وفرج الله سلحشور بنشر تصريحات لا أساس لها، تنم عن جهل أو تحيز، وترجيح رؤية اليهود على عقائد أهل السنة، إنما هو بمثابة إهانة إلى جميع مسلمي أهل السنة»، وطالب نواب أهل السنة وزارة الإرشاد بإنذار سلحشور وصحيفة (كيهان)، ونشر رد أهل السنة على صحيفة (كيهان)، إلا أن وزير الإرشاد تجاهل الرد على خطاب نواب أهل السنة، ولم ينذر صحيفة (كيهان)؛ التي ترأس تحريرها مدة عقد قبل أن يتولى رئاسة المكتب السياسي للحرس الثوري، ثم وزارة الإرشاد الإسلامي بحكومة أحمدي نجاد، ما دعا نواب أهل السنة إلى توجيه خطاب رسمي إلى البرلمان في ٣٠ يونيو، أعربوا فيه عن اعتراضهم على تجاهل وزير الإرشاد لمطالب أهل السنة، لكن لم ترد أي أخبار أو ردود فعل رسمية من جانب وزارة الإرشاد والحكومة.

واستمرت الاعتراضات المشابهة من نواب أهل السنة في البرلمان على ترويج مبدأ (إهانة وانتقاص حقوق أتباع المذهب السني بوسائل الإعلام الإيرانية الرسمية طيلة السنوات الأربع الماضية، من مثل اعتراض النائب عن سردشت وبيرانشهر محمد علي برتوي - عضو لجنة أهل السنة بالبرلمان- بشأن الاتهامات والإهانات ضد أهل السنة في الصحف المحسوبة على السلطة القضائية؛ حيث قال: «تصنف الصحف كل من يدعم مطالب أهل السنة ضمن فئة الكفار، لأنهم يعتبرون أهل السنة أعداء الإسلام»، وأكد: «البعض قام بتشكيل مجلس وعظ ويتعمد إذكاء نيران الفتنة بترويج الإهانات في الخطاب والتصريحات الصحفية، بما يلحق ضرراً بالغاً بالمسلمين».

الاعتراض على قرارات المجلس الأعلى للثورة الثقافية:

أذاع نواب أهل السنة في السابع من يوليو ٢٠٠٨ نص خطاب موجه إلى الرئيس أحمدي نجاد اعتراضاً على موافقة المجلس العلى للثورة الثقافية (بقانون مجلس تخطيط الدولة للمعاهد الدينية لأهل السنة)، وهي أولى

رسائل نواب أهل السنة الاعتراضية إلى أحمدي نجاد، والتي تزامنت مع تشيد المسئولين من جهودهم الرامية إلى إدارة المدارس الدينية لأهل السنة وإحكام السيطرة عليها.

وهو الأمر الذي دعا عدداً من كبار مشايخ أهل السنة وبينهم مولوي عبد الحميد إسماعيل زهي إلى وصف المعتقدات المذهبية لأهل السنة بـ (الخط الأحمر)، والتأكيد على (كفالة الدستور الإيراني الحرية المذهبية الكاملة لأهل السنة في التعليم والدعوة وإدارة المدارس الدينية)، وأضاف: «نحن نقبل الرقابة، ونعلم جيداً أنها حق الحاكم، لكننا نرفض التدخل، وهذه وجهة نظر مختلف طبقات أهل السنة في إيران، ونحن نقول لأصدقائنا: البعض يتصورون أنهم يهيئون الأوضاع بما يتيح لهم بعد ذلك التدخل في قضايانا المذهبية، معاهدنا الدينية، وتعليمنا وتربيتنا».

ومما جاء - أيضاً- في الخطاب: «أثار التصديق على قانون مجلس تخطيط الدولة للمعاهد الدينية لأهل السنة في جلسة المجلس الأعلى للثورة الثقافية برئاستكم؛ والتي كانت تستدعي حضور علماء أهل السنة ومشايخهم أو على الأقل بالمفكرين من نواب أهل السنة بالبرلمان؛ سخط واعتراض طيف هائل من علماء ومسئولي المعاهد الدينية؛ الذين أخطرونا كنواب عن أهل السنة بشكل شفهي ومكتوب، وهو ما يفرض علينا بحسب اليمين التي أقسمناها عند دخول البرلمان أن نعلن عن اعتراضنا ونطالب لإلغاء أو تجديد النظر في هذا القرار الذي نعتبره عملياً غير قابل للتطبيق».

ثم سألوا نجاد: لماذا يفكر المسئولون بعد ٣٠ عاماً من الثورة في التخطيط لإدارة هذه المعاهد؟ وكيف يخطط لمعاهد أهل السنة من تنقصه المعرفة الكاملة بالعقلية والمتطلبات الفكرية والفقهية لهم؟ ثم طلب النواب - بعد التذكير بغضب علماء أهل السنة ومخالفة الدستور- إلغاء هذا القرار، وعدم تدخل الدولة في إدارة المعاهد الدينية لأهل السنة، محذرين من بعدم جدوى هذا التدخل في ظل جهود العدو لإذكاء نار الفتنة والوقيعة بين المسلمين.

المطالب برفع القيود عن بناء مساجد لأهل السنة بالعاصمة في أغسطس ٢٠٠٨:

طالب نواب أهل السنة في رسالة جديدة إلى أحمدي نجاد رفع الحظر المفروض على بناء مساجد لأهل السنة في العاصمة طهران؛ حيث يُحرم أهل السنة حتى الآن من إقامة مسجد يخصهم في طهران، فيما يتحدث النشطاء عن وجود ما لا يقل عن مليون سني بالمدينة، ورغم التصريحات الحكومية المتكررة على مدى العقود الثلاثة الماضية بشأن (الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية) لا زال محظوراً على أهل السنة مساجد لهم في طهران.

وكتب نواب أهل السنة بالبرلمان في رسالتهم إلى نجاد: «واحدة من المشاكل التي تؤرق المواطنين أتباع المذهب السني في العاصمة الإيرانية هي: افتقادهم لمساجد تخصهم، يمكنهم بحسب الدستور - وبخاصة البنود الثاني عشر والتاسع عشر- إقامة شعائرهم فيها طبقاً لفقه المذاهب الأربعة، وقد بعث هذا الأمر في بعض الفترات إلى لجوء المصلين إلى بعض المصليات التابعة للسفارات الأجنبية! وهو ما لا يليق ومكانة المواطن الإيراني وكذلك نظام الجمهورية الإسلامية المقدس».

وتطرق النواب في الرسالة إلى إجازة الحكومة برئاسة محمد خاتمي لأهل السنة بناء مصليات في عدد من المنازل المؤجرة ببعض مناطق العاصمة، مضيفين: «إذا كان الحضور في الأماكن المخصصة بالأجانب أكثر لايقة، إلا أنه لا يتناسب مع كرامة المواطن الإيراني والمكانة الرفيعة للعبادة في الإسلام، وكذلك لا يتوافق مع توقعات الرأي بالعالم الإسلامي للنظام في الجمهورية الإيرانية الإسلامية، ولهذا السبب نعتقد نحن نواب أهل السنة بالبرلمان أنه حتى يحين الوقت الذي يُوفق فيه عظماء النظام إلى اتخاذ قرار حكيم بشأن الموافقة على تأسيس مساجد لأهل السنة بالعاصمة، بما يكفل الاستجابة لواحد من أهم المطالب التاريخية لأهل السنة، فلا بد من تهيئة الأوضاع بالشكل الذي يزيد من رفعة المكانة التي تتمتع بها الجمهورية الإسلامية في أذهان العامة بالعالم الإسلامي، لأن هذا الإجراء من شأنه التدليل على احترام

مطالب مجتمع أهل السنة وما يحويه في الوقت نفسه من إمكانيات الدعاية الإيجابية للنظام الإسلامي في الداخل والخارج».

الاعتراض على تخريب مسجد ومدرسة أبو حنيفة عظيم آباد زابل:

لم يتكلف أحمد نجاد أو أي من مسئولي الجمهورية الإسلامية عناء توجيه رد رسمي مكتوب على رسالة لجنة نواب أهل السنة بالبرلمان بشأن استصدار تراخيص لإقامة مساجد سنية، لكن في ٢٦ أغسطس ٢٠٠٨ هاجمت عناصر الأمن والشرطة العسكرية مسجد ومدرسة أبو حنيفة عظيم آباد زابل - ثاني أكبر مدارس أهل السنة في سيستان وبلوتشستان- ، وأعملوا فيها التخريب، وأضحت كومة تراب!

وأدى اعتراض أهل السنة على تخريب إلى تصاعد حملة الاعتقالات في صفوف المشايخ والنشطاء، ما دفع أعضاء لجنة نواب أهل السنة إلى مخاطبة الرئيس أحمدي نجاد برسالة ثالثة في ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨، تطالب معاقبة المسئول عن تخريب المسجد، ومما جاء في الرسالة: «نعرب نحن نواب أهل السنة عن قلقنا الشديد من وقوع هذه الحادثة، انطلاقاً من حرمة المصحف الشريف، ونناشدكم كممثل عن الإدارة العليا للنظام دعوة المسئولين المحليين إلى التحلي بصفات التسامح وسعة الصدر والمداراة مع المواطنين».

وطالب نواب أهل السنة بالبرلمان الثامن نجاد بالتصدي (عبر إصدار قرارات قوية) لمثل هذه الأعمال التخريبية، والحيلولة دون سيلان الماء في أنفاق العدو، واتخاذ اللازم ضد المسئولين عن هذه الحوادث التي من شأنها تفتيت نسيج الوحدة بين سكان المنطقة.

بالإضافة إلى هذه الرسائل تقدم نواب أهل السنة بالبرلمان بعدد من الرسائل والتلميحات الاعتراضية الأخرى، منها: ما كان من إقبال محمدي - نائب مريوان وسروآباد- إلى وزيري المخابرات والداخلية في تلك الفترة غلا محيسن محسني ازه اي وعلي كردان بشأن البحث والمواجهة مع العناصر التي ساهمت في تخريب مسجد ومدرسة أبو حنيفة عظيم آباد زابل (في ظل تأكيد جميع المسئولين الغيورين والمحترمين على ضرورة الحفاظ على الوحدة الإسلامية بين الأشقاء من شيعة وسنة، وإقامة مؤتمرات سنوية تتعلق بالموضوع وتوقعات أسبوع الوحدة)، وهو ما لم يحدث للأسف.

مطالب أهل السنة في الانتخابات الرئاسية ٢٠٠٩:

خاطبت لجنة نواب أهل السنة بالبرلمان الثامن في نهاية يونيو ٢٠٠٩ مرشحي رئاسة الجمهورية العاشرة بشأن التزام الحكومة الجديدة بتأمين مطالب أهل السنة في إيران.

وقد قدم النواب عبر الرسالة قائمة بمطالب أهل السنة، وطالبوا بالتخلي عن الطابع الأمني في التعامل مع الأقليات الدينية والمذهبية، ومراجعة قانون المجلس الأعلى للثورة الثقافية رقم ٦١٣، بخصوص إدارة الحوزات العلمية لأهل السنة، والعمل بالبند ١٢ من الدستور بشأن الرقابة على الحكم الذاتي النوعي للمجالس الدينية السنية، وإصدار تراخيص بناء مساجد لأهل السنة في طهران، وتهيئة المناخ اللازم للتدريس، التعليم، وقبول جميع المذاهب الأخرى بحسب الدستور، إلى جانب المذهب الرسمي للبلاد.

إلى جانب ذلك؛ أكد النواب على ضرورة ترويج معارف أهل السنة إلى جانب علوم الشيعة في جميع المراحل التعليمية بالمناطق ذات الكثافة السنية، والسماح للتلاميذ والطلبة من أهل السنة الاستفادة من كتبهم ومعارفهم في اختبارات القبول وسائر المناسبات.

وطالب نواب أهل السنة بالبرلمان الثامن في خطابهم إلى مرشحي الانتخابات الرئاسية ببذل الجهود الرامية إلى إيجاد مجال مناسب للحصول على فرص متكافئة في الانتخابات، وتحقيق بند حق الانتخاب، ورفع التمييز، واختيار أهل السنة في الأجهزة الإدارية والخدمية بالبلاد.

مؤكدين أن من أهم مطالب أهل السنة: استخدام الصفوة والمدراء من أهل السنة في الإدارة وخاصة بالحكومة العاشرة، وطرح وزير على الأقل أو وزيرين من أهل السنة على البرلمان، والاستفادة من كفاءة أهل السنة في مساعدة الوزراء والمحافظين، والحيلولة دون ترويج الفتنة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وبخاصة مع ما يسود من مشاريع للوحدة والاحترام المتبادي في

البلاد ذات القوميات المذهبية المتعددة.

لكن التطورات السياسية بعد الانتخابات المثيرة في ٢٠٠٩ أدت على انتشار موجة من القمع بين المعارضين للنتائج الانتخابية، واستخدام العنف المفرط من قبل القوات الأمنية والعسكرية، وسيطرة المناخ الأمني- العسكري على الأجواء الإيرانية وبخاصة في العواصم، لم تحل فقط دون استجابة المسئولين لمطالب أهل السنة وإنما ضاعفت من الضغوط والاعتقالات وفرض القيود على أهل السنة في المحافظات الحدودية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل منعت قوات الأمن في ٢٠٠٩-٢٠١٢ أهل السنة من إقامة صلاة عيد الفطر في طهران.

ثم بدأت أنشطة لجنة نواب أهل السنة بالبرلمان تحد من نشاطها عامي ٢٠٠٩- ٢٠١٢، واقتصرت على متابعة القضايا التنفيذية والعمرانية بالدوائر الانتخابية بسبب سيطرة المناخ الأمني على الأجواء الإيرانية.

المطالب بتراخيص لإقامة صلاتي العيدين:

في ٢٤ أغسطس ٢٠١١ طالب نواب أهل السنة بالبرلمان في رسالة إلى أحمدي نجاد بتوفير ساحات مناسبة بالعاصمة يستطيع أهل السنة إقامة صلاة عيد الفطر فيها، وكتبوا في الخطاب: «انضماماً إلى مطالب هيئة أئمة مساجد أهل السنة غرب طهران (الصادقية) بخصوص توفير ساحات لأهل السنة تساعدهم على إقامة العبادات الخاصة بالعشر الخير من رمضان (الليالي القدر)، وإقامة صلاة التراويح وعيد الفطر المبارك، مع مراعاة زيادة تعداد أتباع المهب السني في طهران (الصادقية)»، ودعوه إلى توجيه قرارات إلى محافظ طهران وباقي المسئولين بتقديم العون لأهل السنة بالشكل الذي يساعدهم على إقامة صلاة عيد الفطر المبارك.

لكن لم يرد أي رد على الرسالة، شأنها في ذلك شأن جميع الرسائل السابقة، ما دعا نواب أهل السنة إلى مخاطبة رئيس الجمهورية في ٣٠ أكتوبر ٢٠١١ مرة أخرى برسالة جديدة جاء فيها: «رغم عدم الرد على الرسالة السابقة بخصوص توقير ساحات مناسبة بالعاصمة يستطيع أهل السنة إقامة صلاة عيد الفطر فيها، وعدم الاهتمام بالتعليق ورفع العقبات والمشكلات المتزايدة بخصوص إقامة صلاة الجمعة وعيد الفطر المبارك؛ فإننا نطلب من رئيس الجمهورية إصدار قرارات إلى محافظ طهران وباقي المسئولين بتقديم العون لأهل السنة بما يساعدهم على إقامة صلاة الجمعة وعيد الفطر المبارك في مصليات أهل السنة بطهران».

خطاب لجنة أهل السنة بالبرلمان إلى خامنئي:

في خطوة غير مسبوقة بعث نواب أهل السنة بالبرلمان خطاباً إلى علي خامنئي - المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية- بتاريخ ١٩ ديسمبر ٢٠١١، وطلبوا إليه رفع التمييز والعنصرية ضد أهل السنة، وإلغاء القيود الدينية عليهم، وإصدار الأوامر بشأن بناء مساجد لهم في طهران.

وذكروه بتشديده الدائم على المواطنة والأخوة، ودعوه إلى تشكيل لجنة خاصة (بالإضافة إلى تنفيذ القوانين المعطلة، وتعديل المادة ١١٥ من الدستور) لإنهاء التمييز القيود على أهل السنة، ومما جاء بالخطاب «للأسف رغم الملاحق والمراجعات المتكررة لا زال المسئولون يرفضون إصدار الأوامر بشأن بناء مسجد!»، لكن أهم ما ورد بالخطاب هو: مطلب النواب إلى المرشد إلى إصدار قانون (باعتباره الطرف الأساسي في الدستور)، وتعديل المادة ١١٥ من الدستور، بالشكل الذي يرفع الحظر عن ترشح أهل السنة للانتخابات الرئاسية.

وأعرب النواب عن أسفهم من تعطيل العمل بالمبادئ الرئيسية بالدستور وخاصة قوانين الحرية المذهبية ١٢، ١٥، ١٩) لأتباع المذهب السني، والمساواة العرقية.

اعترض نواب أهل السنة بالبرلمان على رفض الصلاحية:

كما ذكرنا لم يتكلف خامنئي أو نجاد عناء الرد على خطابات ومطالب نواب أهل السنة بالبرلمان حتى الآن، لكن الذي حدث أن مجلس صيانة الدستور رفض التصديق على صلاحية جلال محمود زاده الذي ترأس

لجنة نواب أهل السنة بالبرلمان في الفترة ٢٠٠٨- ٢٠١١، وكذلك إقبال محمدي الرئيس الحالي للجنة.

كذلك تم استبعاد كلاً من محمد علي برتوي، عبد الجبار كرمي، فتح الله حسيني، محمد قيوم دهقان، عبد الله رستكار، بيمان فروزش من البرلمان التاسع لأسباب لم تتضح بعد، وعليه لم ينجح ثمانية نواب من أصل ١٥ نائب سني في دخول البرلمان التاسع.

ورغم أن مجلس صيانة الدستور لم يوضح لوسائل الإعلام أسباب رفض صلاحية نواب أهل السنة؛ إلا أن مكتب العلاقات الشعبية التابع للنائب جلال محمود زاده أعلن في ٢٢ يناير ٢٠١٢ أن مجلس صيانة الدستور استند إلى المادة ١ من قانون الانتخابات رقم ٢٨ بشأن عدم الالتزام العملي بالإسلام والجمهورية الإسلامية، والبند ٣ من القانون ٣٠ بشأن الارتباط بالتشكيلات الحزبية والمنظمات غير القانونية، في رفض صلاحية هذا النائب الذي ترأس لجنة نواب أهل السنة بالبرلمان مدة ثلاثة أعوام.

علاوة على ذلك تتهم وزارة الداخلية ومجلس صيانة الدستور بعض النواب ضمنيّاً بالتواطئ مع أحزاب ومنظمات غير قانونية.

الدولة الدينية المزعومة

د. محمد مورو - الجزيرة نت ٢٠١٢/٦/١٥

إحدى الافتراءات الكبرى على المشروع الإسلامي إثارة موضوع الخيار بين ما يسمى بالدولة المدنية والدولة الدينية وهو نوع من التلفيق لا يليق بمن يطرحه.

بداية فليس هناك في العلوم السياسية بمرجعيات مختلفة لعلوم الاجتماع ما يسمى بالدولة المدنية «Civil State» هناك دولة ديمقراطية مثلاً، وأخرى فاشية أو نازية أو شيوعية، أو دكتاتورية، ولكن ليس هناك ما يسمى بالدولة المدنية، وكلمة مدني ربما تعني في علم الاجتماع الغربي غير عسكري، أو أهلي بمعنى غير حكومي ومن ثم فإن وصف الدولة المدنية هو وصف غير علمي أولاً ونوع من الدجل ثانياً.

المقارنة والخيار بين الدولة المدنية المزعومة، والدولة الدينية المزعومة كلام غير علمي وفقاً لعلم الاجتماع الغربي ذاته.

ولكي نفهم مسألة الدولة الدينية - التي تعني في علم الاجتماع الغربي دولة ثيوقراطية أو حكم رجال الدين وبالتحديد الإكليروس- فإنه ينبغي بداية أن نقرر أن تطبيق مفهوم معين ظهر في سياق حضاري وصيرورة اجتماعية معينة أمر غير علمي، بل إن من بديهيات علم الاجتماع ذاته أي علم اجتماعي - علم الاجتماع الغربي مثلاً أو الأوروبي- لا يمكن تطبيق مفاهيم على بيئة تاريخية واجتماعية وحضارية أخرى. ومن ثم فإن تطبيق مفاهيم ومصطلحات علم الاجتماع الأوروبي على المجتمعات غير الأوروبية - التي لها صيرورة تاريخية واجتماعية وثقافية مغايرة- يؤدي إلى أخطاء منهجية كبرى.

مثلاً فإن كلمة أصولي أو يميني أو يساري أو علماني... إلخ، لها مفهوم ودلالة مغايرة تماماً في أوروبا والغرب عنها في المجتمعات الإسلامية، فيمكن مثلاً أن تكون إسلاميا حتى النخاع وتريد وحدة إسلامية وتريد تطبيق شرع الله، ولكنك أيضاً انطلاقاً من أن الإسلام مع الحرية تماماً، ومع العدالة الاجتماعية أكثر من أي يساري. فهل يمكن توصيفك عندئذ بأنك يميني أو ليبرالي، أو يساري أو إسلامي... إلخ.

وهكذا فنحن بصدد ضرورة تحرير المصطلح انطلاقاً من قواعد علم الاجتماع العربي الإسلامي، فكلمة علماني مثلاً «Secularism» تعني في علم الاجتماع الأوروبي الشخص الذي لا ينتمي إلى الإكليروس الكنسي بمعنى أن يكون طبيبا أو مدرسا أو مهندسا أو عاملا أو فلاحا، ومن ثم فإذا كنت مهندساً أو طبيباً أو فلاحاً أو عاملاً أو مدرساً، ومع ذلك أنت مع المشروع الإسلامي، فهل أنت علماني مثلاً؟

وكذا فإن ميثاق المدينة المنورة الذي نظم العلاقة بين المهاجرين المسلمين، والأنصار المسلمين، وأهل المدينة المشركين، واليهود في المدينة وحولها، كان بمقياس علم الاجتماع الأوروبي ميثاقا علمانيا مثلاً ولكن هذا لا يفسر المسألة بالكامل، بل قل هو ميثاق إسلامي، أو الإسلام يرفض الدولة الدينية أصلاً، لأن

سيدنا رسول الله ﷺ كان القائد السياسي وليس الديني لأهل المدينة من مهاجرين وأنصار مسلمين، وأهل المدينة المشركين واليهود، وفقاً لمعاهدة تحقق الحقوق والواجبات.

ومن ثم فإن مصطلح الدولة الدينية مصطلح غير صحيح أصلاً، وفقاً لقواعد علم الاجتماع العربي الإسلامي، والخليفة أبو بكر قال لقد وليت عليكم ولست بخيركم، فإذا أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني. ولم يقل أنا ظل الله على الأرض مثلاً، وكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً يختلفون.

إذن هو اجتهاد بشري ينبع من قواعد إسلامية عامة، وهذه القواعد الإسلامية ذاتها هي الضمان الحقيقي للبشرية لأنه إذا كان الشعب مصدر القيم مثلاً، ومن ثم فإن من حق الأغلبية مثلاً أن تحكم بنفي أو قتل الأقلية، ووفقاً لقواعد علم الاجتماع السياسي الأوروبي فإن ذلك ممكن نظرياً، فما الذي يحول دون ذلك، دون وجود قيم عليا غير بشرية ؟ وقد حدث هذا بالفعل إبان حكم هتلر الذي صعد إلى السلطة بصندوق الانتخابات، فقد أباد عددا من اليهود والمسلمين، وفكر في قتل المسنين على أساس أنهم أفواه تأكل ولا تعمل.

الدولة الإسلامية مثلاً، دولة الاجتهاد البشري، ومحاولة الوصول إلى مصالح البشر وليس المسلمين فقط، دولة مسؤولة عن حرية كل إنسان في العالم مهما كانت عقيدته الدينية والثقافية، ومسؤولة عن منع الظلم الاقتصادي في العالم أيضاً، إن الإسلام دين للمسلمين ولكنه دعوة للتحرر للمسلمين وغير المسلمين، بلا إكراه ولا قهر.

وإذا كان العالم يبحث عن السعادة، العدل والحرية ومنع الظلم الاقتصادي ومنع العنصرية والتعصب، فإن ذلك يحتاج إلى نص نظري عالمي غير عنصري ولا يوجد إلا الإسلام في هذا الصدد، ثم تطبيق بشري كفء وصالح، وقابل للتداول، ويأتي وفق إرادة الناس، ولم تحدث فترات مضيئة في التاريخ البشري إلا في الحضارة الإسلامية سواء في عهد النبوة أو الخلافة الراشدة أو بعض مراحل التاريخ الحضاري الإسلامي، وصحيح أنه كانت هناك فترات إغراق كبرى أو صغرى، ولكنها بالمقارنة بالحضارة الغربية أفضل بكثير.

فالحضارة الغربية أفرزت الفاشية والنازية والشيوعية والاشتراكية الديمقراطية، والرأسمالية الديمقراطية، وإذا قلنا إن جرائم الفاشية والنازية لا تحتاج إلى إثبات فإن الاشتراكية الديمقراطية مثلاً، هي أكثر من نفذت مذابح في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، وصحيح أن جرائم فرنسا في الجزائر حدثت في ظل جميع أنواع الطيف السياسي الفرنسي، بمعنى أن الجمهوريين والملكيين، الاشتراكيين والرأسماليين الشيوعيين والثوريين الفرنسيين، كلهم شاركوا في مذابح فرنسا في الجزائر، ولكن الوتيرة كانت ترتفع في حالات الحكم الاشتراكي والشيوعي الفرنسي.

ويكفي أن تعرف أن فرنسا عندما أعلنت ضم الجزائر إلى فرنسا واعتبرتها جزءاً لا يتجزأ من فرنسا، فإن الشيوعيين الجزائريين مثلاً حاولوا الانضمام للحزب الشيوعي الفرنسي، فرفض الشيوعيون والفرنسيون ذلك وبرروا عدم قبولهم بأن الجزائريين لم يصلوا بعد إلى مستوى البشر.

ويكفي أن نعرف مثلاً أن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ قادته ثلاث حكومات اشتراكية حكومة حزب العمل الإسرائيلي، وحزب العمال الإنجليزي وحكومة الاشتراكيين في فرنسا.

أما بالنسبة للديمقراطية الرأسمالية، فإنها هي المسؤولة عن إبادة الهنود الحمر بعشرات الملايين، واسترقاق السود بعشرات الملايين، والنهب الرأسمالي للعالم، والاستعمار، وإنشاء دولة إسرائيل ودعمها، رغم كل ظلمها الواضح والمعلن على مرأى ومسمع من العالم لمدة سبعين عاماً حتى الآن، والذي ضرب نغازاكي وهيروشيما بالقنابل الذرية كانت دولة ديمقراطية.

ناهيك عن جرائم الدولة الديمقراطية التي لا تحصى، والحقيقة أنه لم يحدث في التاريخ الإنساني حتى الآن، أي دولة عادلة ولو لمدة يوم واحد إلا الدولة الإسلامية، وأتحدى من يثبت عكس ذلك وهكذا فإن استخدام مصطلح الدولة الدينية للتخويف من الدولة الإسلامية - لا أقول الإخوانية أو السلفية- هو محاولة من الرأسماليين لاستمرار نهب العالم، لا أكثر ولا أقل.

المشروع الإعلامي مقابل المشروع النووي

أمل عبد العزيز الهزاني - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٦/٧

قوية إيران في قدرتها على إثارة القلاقل، كل العالم يشعر بذلك، الدولة التي يظهر أنها لا تهاب أحدا، ولا يبدو أنها تخشى الضغوط الدولية، لها يد مشاغبة في كل زاوية وشارع وحارة، حتى لا تكاد تخلو نشرة إخبارية يومية من ذكر اسمها، أطماعها بلا حدود، قد تتفاجأ أن عناصرها الاستخباراتية تعمل في المغرب العربي مثلما هي في أدغال البرازيل وسواحل إندونيسيا، حتى إنها تتجسس على الروس، حلفائها الأشداء. لا أحد يثق بها، لذلك حرم عليها تخصيب اليورانيوم فأثقلت على العالم بملفها النووي.

فهل هذه القوة فعلية حقا أم بروباغندا اغتنمت أجواء الصمت؟

لننسَ قليلا اعتداءات إيران وتجاوزاتها على دول المنطقة العربية، لنغفل دعمها تشكيل خلايا نائمة في مصر، أو سيطرتها شبه الكاملة على القرار العراقي، أو إحكام قبضتها على رقبة لبنان، أو تصريحات المسؤولين الإيرانيين حول حقهم في ضم البحرين، أو اختراق العملاء الإيرانيين للجيش الكويتي، أو احتلالهم للجزر الإماراتية أمام أعين العالم.

سأتحدث عن السعودية على اعتبار أنها أكبر دول المنطقة والعائق الوحيد في سبيل التوسع الإيراني جغرافيا وقوميا وفكريا.

خلال عام واحد، تورطت إيران في محاولة تفجير سفارة الرياض في واشنطن واغتيال سفيرها هناك، كما حاولت اغتيال السفير السعودي في القاهرة، وهاجمت قوات النظام الإيرانية «الباسيج» مقر السفارة السعودية في طهران وقنصليتها في مدينة مشهد، ثم قام الإيرانيون بتزوير وثيقة يزعم أنها مرسلة من وزير الخارجية السعودي إلى سفير المملكة في القاهرة، مفادها أن السعودية تعمل على منع فوز محمد مرسي، المرشح عن حزب الإخوان المسلمين للرئاسة المصرية، حتى لا ينافس «الإخوان» السعودية في زعامة العالم الإسلامي. المفارقة أن غالبية المصريين المقيمين في الرياض انتخبوا محمد مرسي بحسب النتائج المعلنة.

فهل نحن أمام دولة منفلتة من عقالها ولا شيء يستطيع أن يحكمها؟

مع هذه الممارسات التي تتنافى مع مبادئ الصداقة والوشيجة الدينية، لا تزال السعودية تتحاشى الصدام مع إيران، وهذه السياسة الهادئة، والدبلوماسية، هي في الحقيقة تثير المجانين ولا تعينهم على التعقل، بل توحي لهم بأنهم المسيطرون.

لم تستخدم السعودية أيا من نفوذها لتبادر بالرد على التسكع الإيراني في أجواء المنطقة برا وبحرا، الذي يهدف إلى الإضرار بمصالحها، واكتفت الرياض بالتصريح بنفي المزاعم الإيرانية أو التنديد بأفعالها، ولم تستخدم أدنى درجات الرد بالمثل.

من المصيب أحيانا اللجوء إلى خيارات تسلح أخرى خلاف التسلح العسكري، ففي أيام الحرب الباردة، كان غزو الفضاء أحد أهم أنواع الأسلحة التي تستخدم لبسط النفوذ وتظهير السيطرة بين القطبين؛ أميركا والاتحاد السوفياتي، واليوم إسرائيل تبيع الصين، بعظمتها وقوتها الصناعية، التقنية والبرامج الحاسوبية المطورة.

قد يكون هناك سلاح لا يقل فتكا وتأثيرا عن الصواريخ والدبابات، خاصة عندما لا تكون هناك حرب مفتوحة بين الطرفين. قياسا على ذلك، السعودية تمتلك أكثر من مصدر قوة لم تستخدمها بكامل طاقتها التشغيلية حتى الآن، وهي الإعلام، والنفط، والعلاقات الخارجية.

إن كانت الرياض تترفع عن ممارسة الأعمال التي تتنافى مع المروءة والأعراف الدولية، فهذا سلوك نبيل يحسب لها، وإن رأت أن سلاح النفط أو العلاقات الخارجية، درجات متقدمة من التفاعل في الوقت الحالي، فلا بأس، ولكن أضعف الإيمان أن تستخدم قوتها الإعلامية في فضح الممارسات الإيرانية، وليس الاكتفاء بالتكتم، أو التنديد، بل تعمد إلى نشر التفاصيل وإظهار الحقائق أمام العالم، بوسائل إعلامها النافذة، وأيضا بوسائل إعلام الدول الصديقة ذات التأثير. أين ذهبت تفاصيل محاولات اغتيال الدبلوماسيين السعوديين في عقول المتابعين؟ كيف لا تنشر الوثيقة المزورة المتعلقة بالانتخابات المصرية في وسائل الإعلام ويتم شرح مواطن

التزوير فيها، وطرح القضية إعلاميا للتحليل من أطراف خليجية وعربية وأجنبية؟

كل الممارسات الشريرة من إيران تطوى في أذهان الناس لأن أحدا لا يأتي على ذكرها، بل تتلاشى بفعل الزمن وغياب التركيز. الإعلام السعودي سلاح نافذ، مؤثر، وذو مصداقية، يستطيع أن يعبر بالحقيقة إلى كل بيت، تغذية هذا الإعلام بالملفات المرتبطة بكل محاولة اعتداء من الجانب الإيراني على السعودية أو على منطقة الخليج، ستشكل رأيا عاما أكثر قوة ووضوحا تجاه استعداء إيران للخليجين.

إيران تعربد في المنطقة العربية لأن أهل المنطقة إما ضعفاء، أو مشغولون بقضاياهم الداخلية، أو يأنفون الرد. هذا التعاطي الرهيف والناعم مع وحش يضرب بيديه ورجليه الأرض العربية بدون كلل أو ملل سيولد شعوبا مترددة في تحديد عدوها المتربص، وغير واثقة من هوية خصمها، ستختلط الأمور ويزدوج الرأي والشعور.

إذا نشأ جيل الشباب في السعودية والخليج العربي، وحتى في مصر، غير موقنين بخطورة السياسة الإيرانية على بلدانهم بسبب ضحالة معلوماتهم أو حجزها عنهم، فستجد حكومات المنطقة نفسها أمام عدو لا تراه سوى عينيها.

الشريعة في دستور تونس شعار المرحلة

فتحي السعيدي - مجلة البيان عدد ٢٩٩ رجب ١٤٣٣هـ

«الشريعة الآن بالنسبة إلينا هي برنامجنا الانتخابي» – راشد الغنوشي – جريدة الشروق ٢٠١٢/٤/١ الموافق ٩/جمادى الأولى/١٤٣٣هـ.

«البرنامج الانتخابي لحركة النهضة لا يتضمن تطبيق الشريعة... فالأولية تبقى لإقامة نظام ديمقراطي حقيقي يضمن الحريات لجميع المواطنين من دون تمييز على أيِّ أساس». من ندوة صحفية عقدها راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة، وفتحي العيادي رئيس الهيئة التأسيسية للحركة والصحبي عتيق رئيس الكتلة النيابية للحركة، بالمجلس التأسيسي.

بالمقابل، وفي نداء لتظاهرة لجعل الشريعة المصدر الأساسي والوحيد للتشريع، أطلقه عدد من الجمعيات الإسلامية الغالب عليها الوجه السلفي؛ بالإضافة لبعض جمعيات النهضة، وقد كان الشيخ الحبيب اللوز عضو المجلس التأسيسي عن النهضة من المنظمين والداعمين والمحرضين لهذا النداء، نجد:

«بسم الله الرحمن الرحيم – جُمعة نصرة الشريعة – نصرة لديننا الحنيف ومطالبة بجعل الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي والوحيد للتشريع في تونس، تدعو الجبهة التونسية للجمعيات الإسلامية إلى مظاهرة حاشدة أمام مقر المجلس التأسيسي يوم الجمعة في ٢٣ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ، إن شاء الله، إثر صلاة الجمعة. هبّوا عباد الله صفاً واحداً لنصرة دين الله».

إذاً! كيف يُفهم هذا التباين في إزدواجية الخطاب لدى النهضة، والواضح بجلاء بين موقفي راشد الغنوشي ومجموعته، وموقف الحبيب اللوز والذين معه من الشريعة؟

هل هو صراع أطياف داخل النهضة؟

القول بوجود صراع أطياف مردود بما صرّح به راشد الغنوشي من أن عملية الرجوع عن طلب إدراج الشريعة في الدستور تمت عبر تصويت من ٧٤ قيادياً في النهضة. عبّر ٥٣ منهم عن رغبتهم في رفض إدراج الشريعة وامتنع ٨ عن التصويت.

يعني من كان مع إدراج الشريعة في الدستور ١٣ قيادياً من مجموع ٧٤. هل يمثل هؤلاء، الثلاثة عشر طيفاً داخل النهضة؟

ربما! ولكن مسألة مثل الشريعة داخل تنظيم مسمى على الإسلام، مثل النهضة، من المفروض أن تُعدّ مبدئية، حياتية ولا يمكن أن تكون بحال من الأحوال، وتحت أي ظرف، ورقة للعبة تكتيكية، سياسياً.

لو كان هؤلاء الثلاثة عشر طيفاً يمثل هذه المبدئية في النهضة لاستقالوا أو لانشقوا. فالأمر إمّا أن هذه القيادة ليست لها الشخصية القوية لأخذ قرار الحسم في موضوع مفصلي مثل الشريعة، وإما

أنّ مسألة الشريعة عندهم ليست بالمبدئية التي نعتقد، وإنما هي قراءة من ضمن قراءاتهم.

الشريعة بين النهضة والسلفيين:

الذي وقع، أن خذلان النهضة لجانب كبير من الشعب التونسي يحلم بمصدرية الشريعة لقوانينه، آلمَ قسمين من الإسلاميين:

١ - قسم كبير من السلفيين الميالين للمشاركة في الانتخابات، ومساندة النهضة على أساس أنها الوجه الإسلامي في هذه الانتخابات، كان هذا القسم يخالف، في الرأي، جانباً آخر فاعلاً من السلفيين يرى بعدم شرعية الانتخابات والآليات الديمقراطية.

السلفيون الذين ساندوا النهضة في الانتخابات وجدوا أنفسهم محبطين من النهضة. وكانت النتيجة أن انقسموا إلى ثلاثة أجنحة:

أ - جناح سئم اللعبة السياسية وانسحب إلى العمل الدعوي والمدني.

ب - جناح اقتنع برؤى المناهضين للانتخابات وهم أقلية

ج - جناح قرر إنشاء أحزاب، والعملَ من ناحية البرامج، بمعزل عن النهضة. وهذا ما سنراه عملياً قريباً إن شاء الله. حيث تعدّ مجموعتان من السلفيين، على الأقل، العدّة لإنشاء حزبين. أمر، إن تم، سيفرض على النهضة رفع سقف طرحها الديني كيلا تُسحب من تحتها صورة التنظيم الإسلامي البارز في البلد.

٢ - القسم الثاني، من المصدومين من قرار النهضة التخلي عن مطلب الشريعة، هم جانب كبير من قواعد حركة النهضة نفسها، وبعض قياداتها الميدانية الذين اهتزوا لعدول النهضة عن مطلب الشريعة، ولم يعودوا يفهمون حركتهم كما لم يعد بمقدورهم تسويغ سياساتها. هذه القاعدة تنتظر مؤتمر الحركة كي تقول كلمتها.

قامت النهضة بالتحريض لتحركات تنادي بتطبيق الشريعة عبر بعض رموزها. مسألة لم تكن للحركة السلفية المبادرة السياسية فيها. وقد نأى السلفيون بأنفسهم عن العمل السياسي بشكله الحزبي و«الديمقراطي»و لكنهم رموا كل ثقلهم في مسبح السياسة لما جاءت الإشارة من النهضة للعمل على إدراج الشريعة في الدستور.

لماذا انسحبت النهضة من هذا الطرح بشكل فجائي وفظ جداً، جعل حتى قيادات الصف الثاني فيها يهتزون؟

ليس السلفيون هم من بادروا بالمطالبة بإدراج الشريعة في الدستور ولكن جمعيات وقيادات من النهضة، وساند السلفيون هذا المطلب. لماذا تراجعت النهضة؟

في بداية الثورة وقعت هجمة من بقايا الإلحاد والانبتات في تونس على المادة الأولى في الدستور التونسي: «تونس دولة حرة مستقلة، ذات سيادة. الإسلام هو دينها، العربية هي لغتها والجمهورية نظامها» حيث أرادوا حذف «الإسلام هو دينها، العربية هي لغتها». بعدها بقليل أخبرنا بعض رموز النهضة بسعيهم لإدراج الشريعة في الدستور وأنهم يمررون الأمر بصمت ويُعِدون له الأرضية داخل المجلس التأسيسي.

وفعلاً أعدت هذه القيادات الخطة وشاركت في التظاهرات والمسيرات والأنشطة الشعبية لحث المجلس التأسيسي على إدراج الشريعة في الدستور التونسي.

الآن وبعد التحلل الفجائي من هذا المطلب، يرى بعضهم أن النهضة لم تفعل إلا تهييج عواطف الشعب تجاه شرع الله والإسلام كي ترفع سقف المطالب أعلى من المادة الأولى، حتى يتمسك العلمانيون بهذه المادة كسقف لهم.

٣ - وهذا ما تمّ. من كان يصرخ، من العلمانيين، بتغيير المادة الأولى أصبح ينادي عالياً بقدسية هذه المادة.

أي، استعملت النهضة شرع الله كتكتيك في لعبة سياسية رخيصة.

٤ - بالطبع لا يمكن تجاهل الضغط الخارجي وعمل السفارات الأجنبية في تونس خاصة الفرنسية والأمريكية التي أقامت مؤخراً دورة مدفوعة الأجر للصحافيين التونسيين.

والاعتماد على تبرير ضغط القوى الخارجية غير كاف؛ لأنه متى كانت هذه القوى ترضى بالشريعة، ألمْ

تعِ النهضة قول الله، - عزّ وجلّ - : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٥ - فهل يعقل أن تنادي النهضة بإدراج الشريعة في الدستور دون أن تكون واعية بردّ فعل اليهود والنصارى ومَنْ والاهم؟

النهضة بين السلفيين وأعداء الدين.

«لم أكن أتوقع أن السلفيين بهذا العدد وهذا الحجم في تونس» قالها الشيخ سعد الحميد في أثناء زيارته إلى تونس لإقامة دورة علمية، ثمّ أضاف مازحاً «أمر يجعلك تطمئن على باقي الدول».

نعم. يقبل الشباب أفراداً وجماعات على المنهج السلفي وأصبحوا يمثلون رقماً مهماً في البلاد، في حين أن مَن يسمون بالعلمانيين والحداثيين يندثرون شعبياً ويتقلص حجمهم يوماً بعد يوم. ويبقى الإعلام آخر أسلحتهم.

ما الذي يجعل النهضة تراهن على أعداء الدين وتعطيهم حجماً أكبر منهم ينفخ فيهم روحاً؟

قد تكون ذاتية بعض العناصر القيادية في النهضة فرّت لسنوات خارج تونس إلى بريطانيا وفرنسا وغيرها، حاملة معها صورة عن الواقع التونسي تنتمي إلى عقود الثمانيات والتسعينات من القرن الماضي. واقع كان فيه لأعداء الإسلام وللشذوذ الفكري الماركسي، وغيره من أطروحات التغريب، بعض وزن. واقع كان فيه لفرنسا قدرة على الفعل في تونس أكبر مما هو عليه الحال الآن.

عادوا إلى تونس بعد الثورة، وهم يعتقدون أن الأمر على حاله. عادوا وفي كوابيسهم نفس الوحوش الكاسرة. ليس في وسعهم إدراك أن تلك الوحوش الكاسرة انكسرت، بعون الله وفضله، ثمّ بإرادة وأصالة هذا الشعب التونسي المسلم.

لم تعِ كثير من قيادات النهضة التي خرجت من تونس، إلا مؤخراً، حجم التيار السلفي المترامي على كامل تراب البلاد. تيار ولد وترعرع ونما في زمن غيابهم عن تونس. تيار واجه أجهزة قمع النظام التونسي بثبات مبهر في حين أن جانباً من قيادات النهضة تراقب، ما يجري في البلد، من بعيد، من أوروبا. بينما الجانب الآخر الذي اختلط بالسلفيين في السجون مثل الشيخ صادق شورو والحبيب اللوز يقيمون علاقات دعوية وسياسية جيدة ومثمرة وذكية مع السلفيين.

٦ - ستُولد خيبة الأمل - المُرّة - التي زرعتها النهضة في أنفس الشعب التونسي بتخليها عن الشريعة، رغبة قوية لدى النخب الإسلامية في البحث، عن بديل سياسي إسلامي آخر، يُعوِّض حركة النهضة. بديلاً، يكون على قدر كافٍ من النقاء العقدي وله «مهنية مبدئية» سياسياً. وهذا ما يجب أن نراه، قريباً، بإذن الله.

وفي المدى المتوسط، لا يمكن أن نختم هذه الكتابة دون الإشارة إلى خبر مرّ مرور الكرام في الإعلام، على الرغم من أهميته ورمزيته التاريخية، ألا وهو حكم المحكمة الابتدائية في تونس بإعادة فتح جامع الزيتونة ونزع الأقفال عن باب إدارته، وبالتالي سيعود التعليم الأكاديمي الأصلي الزيتوني كما كان.

تكمن الرمزية القوية لهذا الحدث في هزيمة الماسوني «بورقيبة» الذي أقفل جامع الزيتونة كصرح للإسلام. هزيمة أمام الحتمية التاريخية التي تقول: إن تونس ستبقى إلى قيام الساعة، بإذن الله، منارة لدين الله. هزيمة أمام إرادة وأصالة الشعب التونسي المسلم.

وتكمن أهمية هذا الحدث في أن هذا الصرح سيعود - إن شاء الله - المرجعية الشرعية للشعب التونسي حيث سيمتص الصراعات العقدية والاختلافات العلمية داخل جدرانه وبين علمائه. وهذا هوّ الحلّ لحالة الفوضى داخل الجسد الإسلامي.

فوضى مرتبطة بغياب المرجعية العلمية الموحدة. سيعود عامة الناس والمؤسسات إلى الزيتونة في خلافاتهم ومطالبهم الشرعية.

في هذا المدى المتوسط نرجو من الله أن يعيد الزيتونة درعاً لعقيدة أهل السنة والجماعة على نهج

السلف الصالح. سيكون للزيتونة - إن شاء الله - وزن ديني وسياسي قوي، كما هو وزن الأزهر في مصر. نسأل الله لتونس ولأمة الإسلام العزّة والأمن والأمان.

لماذا يهاجمون معاوية؟

د. صلاح الخالدي - السبيل ٢٠١٢/٦/٢٥

اتصلت بي قبل أيام كاتبة إسلامية ملتزمة، ساءها ما يحدث في هذه الأيام عبر الفضائيات من مهاجمة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ففي حلقة حوار عبر إحدى الفضائيات الأردنية قال أحد المتحدثين: معاوية رضي الله عنه، فردت عليه مقدمة البرنامج بكل وقاحة: معاوية! لا رحمه الله، ولا رضي عنه!!.

وقالت لي الكاتبة الفاضلة: لماذا تشتم هذه الإعلامية معاوية؟ ولماذا تقول عنه: لا رضي الله عنه؟!!

واتصل بي أكثر من شخص عبر الهاتف، وعبر صفحات الفيسبوك، يستغربون فيها الحملة الشرسة التي يشن فيها أكثر من واحد من المسلمين حرباً على معاوية، يهاجمونه ويشتمونه ويتكلمون في عقيدته وخلقه ودينه، ويحمّلونه مسؤولية كل ما جرى في الماضي للمسلمين وكل ما يجري الآن لهم من مصائب ومآسٍ ومحن.

وأرسل لي أحد الإخوة تسجيلاً مرئياً لشخص في بيروت يزعم أنه مفكر إسلامي ومصلح كبير، يُدعى «عدنان إبراهيم»، ومعظم أحاديثه في مهاجمة معاوية رضي الله عنه! وأرسل لي أخ آخر كلمة للشيخ المعروف «أحمد الكبيسي» قال فيها كلمة كبيرة، حيث زعم أن معاوية يتحمل مسؤولية كل ما أصاب المسلمين من مصائب!

واللافت للنظر ازدياد مهاجمة معاوية رضي الله عنه في هذه الأيام، وتصاعد الحملة العنيفة ضده، واللافت للنظر أيضاً: توافق هذه الحملة مع الهجوم الإعلامي الشيعي عبر الفضائيات الشيعية، التي تقوم بغزو فكري إعلامي شيعي مركز مدروس ضد أهل السنة، بهدف تشكيك أهل السنة في أفكارهم وغسل أدمغتهم، والعجب أن بعض المسلمين من أهل السنة تأثروا بهذا الغزو الشيعي، فصاروا يرددون أقوال الشيعة الخبيثة!

معاوية صحابي جليل رضي الله عنه، أحد كتبة الوحي لرسول الله ﷺ، وكان صادق الإيمان، ومن عظماء وحكماء الصحابة، ومحل ثقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الخبير بالرجال والمواهب والقدرات والطاقات، ولذلك سلمه حكم بلاد الشام الواسعة طول خلافته.

وأحب أن أقرر أن خلاف معاوية لعلي رضي الله عنهما، الذي أدى إلى معركة صفين وغيرها.

كان كل منهما مجتهداً فيه، ولم ينكر معاوية على علي كونه أميراً للمؤمنين! إنما اجتهد في تأخير مبايعته له لأنه جعل نفسه ولياً لدم عثمان رضي الله عنه، ولذلك طلب منه علي رضي الله عنه أن يحاكم قتلة عثمان وأن يقيم عليهم حد القصاص، وسوف يبايعه بعد ذلك، ولم يدّع معاوية أنه أمير للمؤمنين طيلة خلافة علي، لأنه كان يرى أن علياً أمير للمؤمنين، وبايعه أهل الشام بالخلافة بعد استشهاد علي، وأنا أعتقد أن علياً رضي الله عنه أفضل من معاوية رضي الله عنه بدرجات بعيدة، وأن الحق في الخلاف بينهما كان مع علي، لكني أحترم وأقدر وجهة نظر معاوية، وهو الصحابي الجليل أفضل وأشرف من كل من يهاجمه في هذه الأيام.

ومعاوية ليس معصوماً فقد يخطئ، لكن تسجيل الخطأ عليه شيء، واتهامه في دينه وإيمانه شيء آخر مردود!